

١٦

سلسلة الجبابرة





رائد وسلطان

إسحق إسكندر

سلسلة

ملء الجباب

١٦

العدد السادس عشر

أبريل ٢٠٠٦

رائد وسلطان

إسحق إسكندر

سلسلة ملء الجباب

صدر منها :

١- ملء الجباب

٢- تكفيك نعمتى

لماذا أنا بالذات؟

٣- كرسى المسيح

٤- حبيب الرب

٥- أرى الدم

ثلاثة أبكار

أربع معارك

٦- على الشجوية

ظل الموت

٧- روشتة للألم

٨- كاهن عظيم

٩- السجين الحالم

١٠- ميمى بـك

١١- مجاهد فى الجبانة

١٢- رئيس الخلاص

١٣- وأنت تبقى

١٤- لنا شفيع

١٥- محطة الأتوبيس

- Upon Shiggaion
- The Shadow of Death
- The Brass Serpent

إيداع رقم ٢٠٠٥/١٨٩٨٦ بدار الكتب

ترقيم دولى I.S.B.N. 977-17-2702

الفهــــرس

مقدمة

أولاً: فى الناحية الموضوعية

فى سؤال وجهه أحد الشباب من قراء هذه السلسلة - بعد أن قرأ كتيب " مجاهد فى الجبانة " - عن مدى مسئولية الشاب عن رغباته الجنسية .. ودوافعه الغريزية .. وأمياله الطبيعية.. ومتى يعتبر نفسه مخطئا.. وهل يكون ذلك لمجرد تحرك هذه الغرائز فيه.. أم ماذا ؟

وحيث أن الطبيعة القديمة (أو الخطية الساكنة فىَّ- رو٧: ١٨) شئ.. والغرائز الطبيعية شئ آخر.. لذلك فإن الخلط بينهما يسبب التباسا كبيرا.

فالأولى هى طبيعة الاستقلال عن الله، وقد سبق وتم شرح ذلك [١،٢].

بينما الثانية هى رغبات طبيعية، فطر الله الإنسان عليها.. لضمان بقائه..واستمرار الحياة على الأرض.. كغريزة الجنس..وغريزة الأكل.. وغريزة الأمومة.. والأبوة.. إلخ.. وهى الغرائز التى يشترك فيها الإنسان مع الحيوان.

ومع وجود هذه الغرائز فى الحيوان، لكنك تجده خُلوا من الطبيعية القديمة؛ أى الإرادة الذاتية الراغبة فى الاستقلال عن الله.. ذلك لأنه أصلاً بلا إرادة.

لذلك لا ملامة علينا لوجود هذه الغرائز الطبيعية فينا.. أو حتى تحركها داخلنا طالبة إشباعها.

(١-٢) : أى يرجع لملحق١ وملحق٢.. وهكذا.

إنما اللوم – كل اللوم – هو فى الخضوع للإرادة الذاتية (الطبيعة القديمة الفاسدة) لتنفيذ هذه الرغبات.. فى خط، لن يكون – بالطبع – إلا مخالفاً لمشيئة الله.. لأنه من ثمار هذه الطبيعة العاصية المستقلة عن الله.

ذلك لأن الإنسان " فى الجسد " (رو ٨ : ٨)، أى خاضعاً لإرادته الذاتية، غير خاضع لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع (رو ٨ : ٧) .. أى لا يقدر حتى لو حاول.

ناهينا عن دور إبليس فى تجميل الخطية وتبرير صنعها.

لذلك فتحرك الغريزة طالبة إشباعها شئ.. وتحرك الطبيعة القديمة لإشباع هذه الغريزة – تنفيذاً للإرادة الذاتية.. مع غواية الحية القديمة– شئ مختلف تماماً.

وهذا هو موضوع هذا العدد.. مع ملاحظة أننا هنا لا نعمل مسحاً لكافة عينات البشر، يشمل اختلاف قوة الغريزة عندهم.. ولا تطور نمو هذه الغريزة فى مراحل العمر المختلفة.. فتلك أمور يبحثها المختصون.. لكننا سنأخذ عينة واحدة.. ربما تختلف عن عينات كثيرة غيرها.. فسيولوجيا.. أو سيكولوجيا .. لكنها تتفق مع الجميع فى الموقف الروحى.. وفى أسلوب التعامل الكتابى معها.

ثانياً: فى الناحية الشكلية

يلجأ الكاتب إلى ما يسمى بالحيل الأدبية لتوضيح فكر ما.. والأحلام من هذه الحيل.. فما لا يتقبله الواقع إن سرده الكاتب كحقيقة ، لجأ إلى تقديمه فى صورة حلم.. وأدبياً، لا غبار على استخدام هذا الأسلوب.

أما وقد سبق استخدام أسلوب الأحلام هذا فى هذه السلسلة مرتين – ثم يأتى استخدامه فى هذا العدد مرة ثالثة – فهذا ما يستوجب الاعتذار.. مع تقديم التوضيح.

فما حصلنا عليه من تبرير – وهو يفوق أحلام " محسوب " ، فـى قـصة " السجين الحالم " – لم يكن ليتأتى شرحه فى مثال من الواقع.. لأنه يفوق الواقع.

وما ينتظرنا من مجد – وهو يفوق أحلام " وليد " ، فى كتيـب " رئـيس الخلاص " – لم يكن ليتأتى شرحه فى مثال من الواقع.. لأنه يفوق الواقع.

وعلى العكس .. فإن ما يلمسه الشاب فى كيانـه مـن فـوران غريزتـه الجنسية.. وما يلجأ إليه البعض أحياناً – انصياعاً للطبيعة القديمة .. لإشباع هـذه الغريزة.. وهو ما يفوق حلم " الدكتور رائد " فى قصة هذا العدد – لم يكن ليتـأتى تصوره كواقع حدث من الدكتور.. لأنه يعتبر ضرباً من الجنون لو حدث.. مع أنها قصة خيالية مؤلفة.. ومع هذا فإنه بكل أسف يحدث أحيانا فى واقع الحياة مع الناس بصفة عامة.. إلا من حفظه الرب من أولاده.

لذلك لم تكن هناك مندوحة من تكرار هذا الأسلوب (الأحلام).

راجياً من القارئ الكريم أن يغفر لى هذا التكرار.. مصليا لأجلى.

كما ويغفر لى أيضاً قصور هذا العدد عن الإلمـام بكافـة جوانـب هـذا الموضوع الكبير.. لأن الغرض هنا هو شرح **الموقف الروحى** فقط.. مـع تقـديم كيفية التعامل مع هذه الغريزة.. والتى أرجو أن تكـون هـى الكيفيـة الكتابيـة الصحيحة.

وراجيا قبل ذلك من الرب أن تكون هذه الكلمات سببا فى توصيل الحـق الكتابى " لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ.... لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ " (أف ٤ : ١٢).

ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية

والخطية إذا كملت تنتج موتاً

(يع ١ : ١٥)

الدكتور فى الحديقة

بعد تخرجه فى كلية الطب البيطرى، جاء تعيينه فى حديقة الحيوان بالجيزة.

ثم تدرج فى المناصب حتى تسلّم فـى أحد الأيام خطاباً من وزارة الزراعة، يفيد بترقيته إلى منصب مـدير عـام الحديقة.. مع تخصيص سكن له – ملحق بمكتبه الجديد– داخل أسوار الحديقـة.. حتى يتسنى له الإشراف على شئونها.. فى أى وقت.. ليلاً ..أو نهاراً.

بهذه الترقية سعد " الدكتور رائد " أيما سعادة.. إلا أن سعادته الأكبر كانت بالسكن الجديد.. فهو يطل على أرجاء الحديقة من كافة النواحى.. مما يعطيـه أن يراها من زوايا جديدة لم يكن يراها من قبل.

سيقضى نهاره.. قائماً بعمله..وبانوراما أزاهيرها تخلبه.

وسيمضى ليله.. خالداً إلى نومه.. وخرير مياهها يطربه.

ليقوم صباحه نافضاً وَسَنَه.. وشقشقة طيورها تنبهه.

ما أن تقابل " الدكتور رائد " مع " عم أمين " حتى تقلصت فرحتـه هـذه، وهما فى طريقهما لمعاينة واستلام السكن الجديد.

" فعم أمين " فراش السكن بادره بالقول وهما يتفحصان المسكن:

● الدور الأرضى عبارة عن مخازن.

سأله الدكتور:

■ وما هذه الحجرة المغلقة ببوابة حديدية ؟

● إنها حجرة " سلطان " .. أجاب " عم أمين " .

■ من ؟!!

● " سلطان " .. أشهر أسود الحديقة.

■ أيقيم أسد معى فى نفس السكن ؟

● سعادتك فى الدور العلوى .. فوق .. و " سلطان " فى الدور السفلى.. تحت.

■ أقول لك أسد!!.. يسكن معى ؟

● هو محبوس يا " بيه " .

■ محبوس.. هذا مفهوم.. أما لماذا هنا.. فغير المفهوم.

● قفصه الحديدى ملاصق لهذه الحجرة من الخارج.. حتى يراه زوار الحديقة فى النهار.. ولأن القفص فى العراء، فهناك باب يدلف خلاله من القفص إلى هذه الحجرة المسقوفة.. حتى يبيت ليله.. ولا خطورة عليك منه يا " بيه " .

■ قل لى إذاً؛ هل يزأر " سلطان " ليلاً ؟

● ليلاً أو نهاراً .. " هو ومزاجه " .

■ أنا لا أتحمل الضجيج.

● كل المديرين قبلك قالوا هذا.. لكن بعضهم استطاع – بطريقة أو بأخرى – ترويضه.. أو ترويض أنفسهم على تحمل ثوراته.. " الدكتور يزيد " .. و" الدكتور دانى " .. وغيرهما على مَرّ تاريخ الحديقة.

■ شئ مزعج.

● لم ؟.. ما دام " سلطان " محبوساً.. " وعم حافظ " الحارس ساهراً يقظاً.. وهو لا يفتح الباب " لسلطان " إلا بإذن كتابى من سيادتك؛ مدير عام الحديقة.

■ عجيب!!.. أيخطر ببال أحد – ولو كان مديراً– أن الباب يمكن أن يُفتح " لسلطان " ؟

● بدون رأيك لا .. فزمام الأمر كله فى يدك يا دكتور.

■ لن أسمح بذلك أبداً.

● وهو المأمول من سيادتك.

وهكذا وجد " الدكتور رائد " نفسه مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً " بسلطان " ، بحكم السكن المشترك بينهما.

هوّن الدكتور على نفسه من قيام هذه المعضلة الجديدة، قائلاً:

■ " وماله.. هو فى حاله، فى قفصه، تحت.. وأنا فى حالى فى ســكنى.. فوق ".. وكلٌ فى فلك يسبحون.

لكن سلطان لم يترك الدكتور " فى حاله " كما ظن.. فكان يهرّ[٣] ويزأر.. مما كان يقطع تسلسل نوم الدكتور وهجوعه.

رن جرس التليفون لدى الدكتور فى إحدى الليالى:

■ ألو.. من ؟.. سأل الدكتور .

☠ خادمك " عباس ". [٤]

■ أهلاً " عباس " .. طلباتك ؟

☠ إنها عشرة قديمة مع المرحوم والدك.. مذ كنت أنت جنيناً.. فرضيعاً.. فغلاماً.. فطبيباً.. يا دكتور.. وما زلتُ حتى اليوم خادمك المطيع..فعشرتى معكم لم ولن تنقطع.

■ " فيك الخير يا عباس " .

☠ هل أمورك على ما يرام يا دكتور ؟

■ الحمد لله.. فيما عدا " سلطان " وزئيره.

☠ وماذا يريد ؟

■ يريد الانطلاق يا " عباس " .

☠ ولم لا تطلقه ؟

■ أمعقول هذا ؟

☠ هو عين العقل.. أم تريده يزداد توحشاً ؟ .. أنت المدير.. ولك مطلق الحرية فى فعل ما تراه يريحك ويعود عليك بالنفع.

■ والنتائج ؟

☠ لن تتهدم الدنيا.. " وآهى مرة وتعدّى "

وكان الدكتور " رائد " قد تفتح إدراكه، و " عباس " لديهم فى المنزل.. لم يعرف له عملاً محدداً.. ولا وعى متى صار " عباس " فى منزلهم.. كما لم يكن يدرى هل سيغادرهم أم سيستمر معهم.. كل ما هنالك أنه وجده لصيقاً بالعائلة،كأنه واحد منها.

مات أبو الدكتور.. واستمر " عباس " لدى العائلة..كأنه إرث تركه الأب لهم.. لذلك كان دائم الاتصال التليفونى بالدكتور.. وكان يزوره فى أى وقت فى السكن.. لاسيما وقت أن يكون الدكتور متحيراً.. كأنما يعرف الغيب.. ويحدس باحتياج الدكتور إلى رأيه.. من ثم كان يظهر أمامه فجأة.. أو بالتليفون .. يوجهه ويشير عليه بمثل هذه المشورة الخطيرة، بفتح باب القفص " لسلطان " .. مع التهوين من النتائج.. فيما يبدو أنه تحالف خفى بين " سلطان " و " عباس " .. أو بروتوكول غير مكتوب يتفق فيه الاثنان ضد الدكتور.

أما ثالثة الأثافى(٥) فكانت " أم قشعم " (٦)..إذ كانت مكملة لهذا التحالف.

وجدها الدكتور أمامه فور ترقيته.. أتت تهنئه بالترقية الجديدة.. وتضع نفسها فى خدمته..ثم بدأت توغر صورة ضد وزير الزراعة – الرئيس الأعلى لحدائق الحيوان– متهمة إياه بأنه لا يريد الخير للمديرين أمثاله .. وأن عليه أن يتحرر من سلطة الوزير .. فالدكتور هو المدير.. وصاحب الإرادة الحرة.. ومالك الأمر كله.. وعليه أن **يستقل بالقرار**.. ويدير الأمور بنفسه دون اللجوء إلى هذا الوزير.. الذى لا يريد أن ينافسه أحد فى الوزارة.

وهكذا اكتملت جبهة ثلاثية عاتية فى مواجهة الدكتور.. " **سلطان** " .. **مع " عباس " .. مع " أم قشعم "** .

كان الدكتور قد رأى " أم قشعم " أول مرة من بعيد.. ظـن أنهـا طفـل صغير.. فلم تكن ترتفع قامتها عن الأرض إلا قليلاً.. اقتربت منه فإذ هى امـرأة قصيرة جداً.. تحمل وجهاً طفولياً ملائكياً.. وتلبس فستاناً جميلاً.. مسدلاً.. يكسـو ساقيها تماماً.. كانت تهرول فى الحديقة بسرعة لا تتناسب مع قصر قامتها.. لكنها – كما علم من " عم أمين " – كانت امرأة عجوزاً وُجدت فى الحديقة.

■ قديمة هى هنا يا " عم أمين " ؟

● فى الحديقة منذ إنشائها يا دكتور.

■ أراه لغزاً .. سرعتها مع قصر قامتها!.

● قصة مؤسفة يا دكتور.

■ خبّرنى.

● هذه العجوز المتظاهرة بالبراءة كانت فى ديوان عام الوزارة.. مقرّبـة من الوزير .. ويوماً ما أرادت عمل انقلاب ضده .. والاستيلاء على الكرسـى .. فطردها الوزير.. جاءت إلى الحديقة.. تريد السيطرة على كل مقدراتها.

■ على كل الحديقة ؟

● نعم.

■ ليس فى مقدورها ذلك.

● بالعكس فهى الأقدم.. ثم أن لها أسلوبها فى إغراء المديرين أمثالك حتى يعصوا الوزير .. فيسحب بعض سلطاتهم..والخصم من رصيدهم فى السلطة يُعتبر – ضمناً – إضافة إلى رصيدها.. لهذا تتظاهر بالعطف عليكم.. وابتغاء صالحكم.

■ ولماذا يتركها الوزير حرة.. ولا يحبسها ؟

● أصدر قراراً بذلك .. ومسألة وقت حتى تصل كتيبة تنفيذ الأحكام.

■ طال الوقت.

● للوزارة حساباتها.

■ ما زلت أتساءل عن قامتها.

● لم تكن قصيرة هكذا.. لكنها بعد نزولها من الوزارة إلى الحديقة حاولت الكيد لأول مدير للحديقة.. فزلت قدمها.. وأجريت لساقيها جراحة.. خرجت بعدها.. قصيرة القامة.. لابسة فستانها الطويل هذا.

■ ولها هذه السرعة رغم قصر القامة.. وغموض مصير الساقين ؟

● أحدّ لم يكشف عن فستانها.. ولا عرف شيئاً عن مصير ساقيها بعد الجراحة.. بعضهم يقول أن ساقيها قد بترتا.. والآخر يقول بل بقى لها ساقان قصيرتان تحت فستانها الجميل هذا.

■ شئ يدعو إلى الدهشة!!.. على أى حال، ربما تستحق ما جرى لها.

● بل هو غضب الوزير عليها .. مما جعل اللعنة تطاردها.. هكذا يقولون.

■ من هم ؟

● قدامى الموظفين.. نقلاً عن " الشيخ عبد الجليل " .

■ " الشيخ عبد الجليل " ؟.. من يكون ؟

● من أوائل العاملين بالوزارة.. وكان مقرباً جداً من الوزير.. يتحادثان سوياً.. كما يكلم الرجل صاحبه.. وكان يعرف أخباراً كثيرة.

■ ولكنى لم أره.

● رحل منذ فترة بعيدة.. بعدما ترك لنا تاريخ الحديقة ونشأتها .. إلا أن المهم هو تحذيره لنا من " أم قشعم " هذه .. فهى عدوّة للكل.. وتكيد للمديرين.. وتتمنى لهم الرفت.. وما هو أسوأ.

■ ألهذا جاءت لتهنئنى ؟

● لا يغرنك هذا.. ولا تسمع لصوتها.

رائـــد وســـلطان

كانت أمور الـدكتور تـسير سـيراً طبيعياً.. إلى أن حدث فى إحدى الليالى أن ثارت ثائرة " سـلطان " .. هـرّ، وزأر.. أرغى، وأزبد.. وراح يضرب الباب الحديدى والجدران بيديه.

وكان " الدكتور رائد " قد عيل صبره.. فالليلة الماضية لـم يـنم بـسبب " سلطان " وزئيره.. وطوال يومه لم يكن قادراً على مواصلة عمله لنفس السبب.. وها هى الليلة الثانية على التوالى التى لا يستطيع النوم فيهـا.. فالـصوت يـصم الآذان.. وزجاج النوافذ يهتز بشدة .. والدكتور متحير.. هل يحل مشكلته بنفـسه كما نصحه " عباس " .. طبقاً لغواية " أم قشعم " .. ويفتح باب القفص " لسلطان " .. مع ما فى ذلك من عواقب.. بالإضافة إلى كون ذلك تخطياً لسلطة الوزير.. أم يحاول أن يهرب من هذا وذاك .. وينام بأى كيفية ؟

فضل الهروب إلى النوم.

ولما كان النوم درجات، فقد نام الدكتور رائد ليلتها فى أدنى الـدرجات.. شبه نائم.. وشبه مستيقظ (paradoxical sleep).. ما أن يدخل دائرة النوم حتى يزأر سلطان، فيقترب الدكتور من دائرة اليقظة.. وهكذا .. مما جعل الدكتور فـى إحدى مراحل انتقاله بين هاتين الدرجتين يرى أنه استدعى " عم أمين " مستفـسراً منه عن سبب هياج " سلطان المفاجئ.. فيرد " عم أمين " – فى المنـام أيـضاً – مجيباً إياه:

● اليوم عرض لألعاب القرود يا " بيه " .. لعلك نسيت.

■ لم أنسَ .. ولكن ما علاقة هذا بـــ....

● القرود تتقافز وتتراقص يا " بيه " .. وتأتى من الحركات ما يسرّ رواد الحديقة، الذين تزاحموا حولها، فحجبوا مشهد العرض.. إلا أن " ميمـون " تفـوق

على زملائه.. فكان يقفز عالياً.. مرتفعاً عن رؤوس المشاهدين.. مما مكن " سلطان " – وهو داخل قفصه – من مشاهدته.. فثار وهاج.

■ وما الذى يضير " سلطان " من رقص لقرد.. أو قفز لآخر ؟!

● ظنه غزالاً.. فاشتهى أكله.

■ بل هو قرد!.

● ولكنه خيال " سلطان " .

■ وما العمل ؟.. هل نفتح له الباب ؟

● إن فتحنا له الباب أطاح بالغزال والقرد جميعاً يا دكتور.

■ ولكنى غير قادر على الاحتمال.

● سيادتك المدير.. وما تأمر به.

■ و " عم حافظ " .. هل سيوافق ؟

● خاضع أيضاً لأوامرك.

■ إذاً فليُعَدُّ أمر كتابى.. مفاده؛ أنى – بصفتى مديراً للحديقة – قد أذنت بفتح باب القفص " لسلطان " .. لدقائق معدودات.. حتى تهدأ ثائرته.. ريثما أنصرف أنا إلى عمل أؤديه .. أو أنسلُّ إلى إغفاءة أخلد إليها.. ثم يُعاد إلى قفصه.

ويضيف، مخاطباً نفسه: " **آهى مرة وتعدى** " .. فلن يشعر الوزير.. ولن تنهدم الدنيا.. سلمت مشورتك يا " عباس " .. ورجحت أفكارك يا " أم قشعم " .

دقائق وكان الأمر مكتوباً وموقعاً من الدكتور.. و " عم أمين " فى طريقه إلى " عم حافظ " .. والاثنان فى طريقهما إلى " سلطان " .

♦ أمتأكد أنت يا " عم أمين " بأن الدكتور قد وافق ؟

● هاك توقيعه يا " عم حافظ ".

♦ تصرف ملوم.

● من " سلطان " فى زئيره.. أم من الدكتور فى توقيعه ؟

♦ من الدكتور طبعاً.. لأنه إن لم تكن على " سلطان " ملامة فى زئيره – فتلك طبيعته– إلا أن الملامة – كل الملامة – لاصقة بالـدكتور " رائـد " مـدير الحديقة.. ومالك القرار والأمر كله.

يصل الاثنان إلى القفص المشهود.. وما أن يمد " عم حـافظ " يـده إلـى المتاريس، ليفتح البوابة، حتى يجد الاثنان أن " سلطان " قد نام.

♦ نام من التعب.. يقولها الحارس.

● " نوم العاتى عبادة " .. يقولها " عم أمـين " .. متنفسـاً الـصعداء.. ويضيف: بماذا أرد على الدكتور ؟

♦ قل له أنى – بصفتى الحارس – قد تسلمت الأمر الكتـابى.. ولكنـى وجدت سلطان قد انهد عزمه .. ونام.. وجارٍ تنفيذ المطلوب،مـا أن يـنهض مـن نومه.

● على بركة الله.

كل هذا فى حلم الدكتور.. أما فى واقع الأمر – لا فى حلم الدكتور فقـط– فكان " سلطان " قد نام فعلاً.. مما جعل الدكتور يشعر بذلك فى إدراكه البـاطن.. فيغوص بدوره فى نوم عميق.

وهكذا نرى أنه إن لم يكن هناك خطأ على " سـلطان " فـى رغباتـه أو زئيره، فإن الخطأ واقع من الدكتور " رائد " لا محالة، إن هو أصدر – حقيقـة لا حلماً – قراراً بفتح باب القفص " لسلطان " .. مدفوعاً لا برغبة " سلطان " فقط، بل أيضاً تنفيذاً لمشورة " عباس " ، واقتناعاً بأفكار " أم قشعم " .

جيمس والغريزة

إن تركنا " الدكتور رائد " وأحلامه..وأتينا إلى واقع الحياة وسننه.. وتتبعنا رحلة نموّ أى شخص.. لرأينا الدكتور فى قصتنا ، فور تخرجه وخروجه إلى الحياة العملية، أشبه بوليد برئ جاء إلى الحياة.. وليكن اسمه " جيمس " .

يتدرج الدكتور فى درجاته الوظيفية.. ويتدرج الوليد فى نموه.. فنراه رضيعاً.. ثم طفلاً.. فغلاماً.

يصل الدكتور " رائد " إلى سدَّة الإدارة.. ويصل " جيمس " إلى سن البلوغ.. فيصر شاباً.. **ويصبح مديراً مسئولاً عن كيانه.. له مطلق الحرية فى اتخاذ القرارات.. بكامل إرادته.**

ينتقل الدكتور إلى المسكن الجديد.. وينتقل فتانا إلى بيت جديد؛ هو جسده الذى تغير تماماً عن ذى قبل.

يفرح الدكتور إذ تتاح له رؤية الحديقة من زوايا جديدة.. ويفرح " جيمس " إذ أصبح شاباً يرى الحياة بمنظور مختلف.. فيجدها أجمل وأبهج.

يكتشف الدكتور وجود قفص " سلطان " متحداً بمسكنه.. وهكذا يكتشف الشاب " جيمس " سلطاناً متربعاً داخل كيانه .. يهرُّ .. ويرتفع صوته تدريجيا .. حتى الزئير.

والمثير لحيرته ، أن فتانا يكتشف وجود همس مريب فى أذنه، لا يعلم أنه من " عباس " .. وفكر غريب يراوده، لا يدرى أنه من " أم قشعم " .. فهو لم يعرف بعد بوجودهما، ولا بدورهما.

من تراه " سلطان " هذا الخاص بالشاب ؟.. **إنها الغريزة الجنسية فى**

موضوعنا.. (وغير الجنسية بصفة عامة).

ومن تراه " عباس " ؟.. **إنه الطبيعة العاصية الموروثة** من الآباء والأجداد.. حتى الجد الأكبر آدم.. موعزة إلى " جيمس " بعمل ما يريد.. إرضاءً لذاته.

ومن تراها " أم قشعم " .. **إنها الحية القديمة – إبليس**– موسوسة له بالتحرر من كل سلطة.. وكسر كل قيد.. ومغوية إياه بفتح كل الأبواب.. ولو كان باب " سلطان " نفسه.. ضارباً الحائط بالوزير.. وبالوزارة.

وهكذا تكتمل جبهة ثلاثية فى مواجهة الفتى المتديّن " جيمس " ؛ الغريزة الجنسية – غير الملومة فى حد ذاتها – والطبيعة القديمة العاصية.. وإبليس عدو كل برّ.

يتحير الدكتور " رائد " أمام وجود " سلطان " .. ويتضايق من زئيره .. ومثله " جيمس ".. وربما كان وجود الغريزة سبب سعادة – فقط ، ودون مضايقة – لشاب آخر.. أما " جيمس " .. فمع سعادته – إلا لأنه مُلتزم فى نفس الوقت – يتحير مثل الدكتور– ويتضايق من سلطان الغريزة.. وقوتها.. ومحاولتها التنفيس عن نفسها.

يحاول الدكتور إسكات " سلطان " فيجيبه " عم أمين " **بأن حبس سلطان ممكن.. أما إسكاته فلا..** فتلك طبائع الأسود التى فُطروا عليها.

وجد الدكتور " رائد " الناصح الأمين الذى أخبره بهذه الحقيقة.. لكن " جيمس " لم يجد حتى الآن من يخبره بأن هذه هى سُنَّة الغريزة وديدنها .. وبأنه لا ملامة عليه إن هرَّ " سلطان " أو زأر داخله.. بل ربما وجد من يخبره بعكس ذلك.

يميز الدكتور " رائد " بين " سلطان " ، وبين " عباس " .. لكن فتانا

" جيمس " لا يميز بينهما بل لا يعرف – من الأصل – أنهما اثنان داخل كيانه، لا واحداً.. مما يزيد من معاناته.. ويظن نفسه أشر خلق الله جميعاً لوجود " سلطان " الغريزة داخله.. بينما المشكلة الحقيقية هى وجود " عباس " ، لا " سلطان " .

فإن أضفنا إلى ذلك وجود " أم قشعم " حرة طليقة تسرب أفكارها إلى كيانه، أدركنا عمق الحيرة التى يقع فيها فتى مثل " جيمس " .. ومدى التخبط الذى يذهب إليه ، بخلطه بين هذه الثلاثة التى تتنازعه.

وسواء وجد الدكتور من يخبره بحقيقة " سلطان " .. أو لم يجد فتانا من يخبره بحقيقة الغريزة، والفرق الشاسع بينها وبين الطبيعة العاصية، فالنتيجة واحدة.. وهى وجود " سلطان " كحقيقة مسلم بها.. وارتفاع زئيره.. وقوة هيجانه.. حتى أنه مرة وراء مرة يفيض الكيل بكل منهما.. بالدكتور، و " بجيمس " .

قبل وصوله إلى سن البلوغ كان " جيمس " يتعامل مع الجميع بكيفية عادية.. وينظر إلى الجنس الآخر، ربما كجنس يحيطه الغموض، لكن بدون شهوة مكتملة.

وخارج موضوعنا مراحل التطور الجنسى لدى " جيمس " .. والذى بدأ منذ الطفولة .. مع محاولات " سلطان " البدائية للخروج من القفص، وقت أن كان شبلاً صغيراً.. وصولاً إلى سن البلوغ (وما بعده).. ولا ما صاحب هذه المراحل من تطور نفسى، أو عاطفى.

إلا أنه فى أحد الأيام – بعد بلوغه– وكان عائداً من معهده، رأى فجأة ما ظنه غزالاً .. أو بالحرى ما أوهمه " سلطان " أنه غزال.. " فلسلطان " رؤيته الخاصة .. لا يشرك فيها أحداً.. سيّما وأن هذا الغزال قد أتى من الإثارة مثلما أتى " ميمون " فى ألعابه.

ربما كانت هذه هى المرة الأولى التى فيها يرى الفتيات بمثل هذه الإثارة

الشديدة.. التى لم يألفها من قبل.

يتشاغل " جيمس " .

" سلطان " يلح.. و " جيمس " بين شد وجذب.. بين شعور جديد بهيج يتسلل إليه.. والتزام أخلاقى تربى عليه، يصدُّ هذا الشعور.

" أم قشعم " تدخل على الخط مغرية إياه: ألا ترى ؟.. انظر إلى القوام، لقد نبت كالبان.. انظر إلى الوجه، لقد قُدَّ من رخام.. انظر إلى الشعر ، لقد ضُفر من ذهب.. فأى سلطة تلك التى تُفرض عليك لتمنعك من التمتع بهذا كله ؟

أمعقول هذا ؟

هنا ينبرى " عباس " موسوساً: غزال يستحق الافتراس ..ألا تغتنم الفرصة قبل فواتها لتشبع رغبات " سلطان " ؟.. يا لك من غبى.

أهكذا ؟

ربما كان الغزال قرداً.. لكن سلطان يراه غزالاً.. وهذا يكفى.. فهو جائع.. " وَلِلنَّفْسِ الْجَائِعَةِ كُلُّ مُرٍّ حُلْوٌ " (أم ٢٧ : ٧).

يتعامى " جيمس " هروباً.. ويتجه إلى منزله فراراً.

إلى هنا ولا خطأ قد حدث منه.. ذلك لأن رغبات " سلطان " خارج مسئولية " جيمس " ..لأنها الغريزة الطبيعية التى فُطر عليها.

أما أفكار " أم قشعم " فى تجميل العصيان والتحرر من كل سلطة، لا يُساءل " جيمس " عنها.. فتلك أفكارها لا أفكاره.. " لأَنَّنَا لاَ نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ (أى أفكار إبليس) " (٢ كو ٢ : ١١)

كذلك تحريضات " عباس " ، لا جُناح على " جيمس " بسببها.. فـ " الْجَسَدَ (أى الطبيعة العاصية فينا) يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ " (غل ٥ : ١٧).. وتلك طبيعة

الجسد.. لأن " اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ " (يو ٣ : ٦).. بلا تبديل أو إصلاح[١، ٢].

لذلك فحتى الآن، لا تثريب على " جيمس " .. حتى مع استمرار مطالبة " سلطان " بالغزال.. وبقاء إغراءات " أم قشعم "..ودوام تحريضات " عباس " .

فى تلك الليلة، بينما كان " جيمس " يجلس إلى كتبه، هرَّ " سلطان " مطالباً بالغزال الذى رآه صباحاً.. **تغابى** " جيمس ".. وانكب على دروسه تسامياً.

زأر " سلطان " .. قام جيمس من على مكتبه يتمشى فى أرجاء الحجرة ترويضاً.

انبرى " عباس " موسوساً، فاندفع " جيمس " إلى كتبه **منهمكاً**.

كل هذا والخلفية التى زرعتها " أم قشعم " بوجوب التحرر من " السلطة " مسطورة فى الذاكرة.. لكن " جيمس " **يهملها متناسياً**.

وليلة وراء ليلة **يناضل** " جيمس " **مجاهداً** لإسكات " سلطان " .. دون جدوى.

فكل هذا، مع أنه ساعد **مؤقتاً** على حبس " سلطان " وعدم فتح الباب له، إلا أنه فشل مع حبسه نهائياً.. **فلا التعامى، ولا التغابى.. لا الهروب، ولا الفرار.. لا التسامى، ولا الترويض.. لا الانكباب، ولا الانهماك.. لا الإهمال، ولا النسيان.. لا النضال، ولا الجهاد .. لا التدين، ولا الالتزام.. لا شئ من هذا كله أفلح فى حبسه نهائياً.**

فكل هذه المحاولات مع " سلطان " لها دورها الفعال ، ولكن ليس الآن.. ولها نتيجتها المؤثرة ، **ولكن ليس قبل حل مشكلة " عباس " أولاً** .

وإن كان الدكتور " رائد " قد راوده حلم بفتح باب القفص، إشباعاً

" لسلطان " .. وانقياداً وراء " عباس " .. واقتناعاً بأفكـــار " أم قـــشعم " .. فـــإن " جيمس " تراوده فكرة فتح باب القفص للغريزة بين الحين الحين.. **فعلاً لا حلماً..** إشباعاً لهذه الغريزة.. وانقياداً بالجسد – أى الطبيعة القديمة، وليس اللحم والـــدم– واقتناعاً بأفكار إبليس وإغراءاته.

حتى جاءت ليلة ابتدأ فيها " سلطان " يدق كيان " جيمس " دقاً عنيفاً.

توقف " جيمس " عن الاستذكار ليجد " عباس " قبالته.. محاوراً إياه:

☠ ماذا يحدث لو أعطيت " سلطان " فرصته ليكون له شأنه – كما اشتهى – مع الغزال.

🯅 والنتيجة ؟.. يتساءل " جيمس " بينه وبين نفسه.

☠ لن تنهدم الدنيا.. " وآهى مرة وتعدّى " .

هكذا يفتيه " عباس " .. وفى ذهن " جيمس " الخلفية المتجددة من آراء " أم قشعم ".. مؤيدة مشورة " عباس " ..فيتساءل " جيمس " :

🯅 والسبيل إلى ذلك ؟

☠ غداً تذهب.. فى نفس الموعد.. ونفس المكان.. الذى رأيت فيه الغزال.. وحتماً ستجده.. أما رأيتها تحمل كتباً ؟.. لا شك أنها طالبة فى معهد قريب.. فهيا إلى هناك.. ليأخذ " سلطان " فرصته.

🯅 كيف ؟

☠ بأى كيفية كانت.. كاملة أم جزئية.. لِتَقُدْ الظروف خطاوينا.. و " على حَسْب الريح ما تودينا "

يصادق جيمس على مشروع " عباس " لإشباع " سلطان " .. ويقول لنفسه:

غداً ســـــأذهب

وهكذا صدر القرار.. ممن ؟.. من " جيمس " بالطبع.. لا من " سلطان " .. ولا من " عباس " .. ولا من " أم قشعم " .. مع التسليم بوجود دور فاعل لكل منهم فى دفع " جيمس " إلى اتخاذ القرار.. لكن " جيمس " هو مالك الزمام.. وصاحب الأمر كله.

وسواء ذهب " جيمس " .. أو لم يذهب.. نفَّس عن نفسه بالذهاب فى الغد لملاقاة الغزال.. أم نفَّس عن نفسه بطريقة أخرى بينه وبين نفسه.. أم لم ينفِّس.. فإن المحظور قد وقع من " جيمس " لحظة صدور القرار.. بإطلاق " سلطان " .

ميـــلاد الخطيـــة

وهذا يأتى بنا إلى ما ورد فى رسالة يعقوب. " ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً.... " (يع١: ١٥)

ما هى الشهوة هنا ؟.. هل هى الشهوة المنهى عنها فى الناموس بالقول: " **لا تشتَه....** " (خر٢٠: ١٧).. كما فى أماكن أخرى من الكتاب ؟.. بعض المفسرين يرون ذلك.. لكن بقليل من التأمل نجد أنها ليست كذلك بالضبط.

فالشهوة فى الناموس **هى خطية** يُنهى عنها.. بينما الشهوة فى هذه العبارة من رسالة يعقوب **ليست خطية** فى حد ذاتها.. بل هى مشروطة بالقول: " **إذا حبلت** " .. ماذا يحدث إذا حبلت ؟.. إنها **تلد خطية**.. ميلاد الخطية إذاً مشروط بحدوث الحبل..لا بوجود الشهوة .. وإلا فلا خطية تولد لمجرد وجود هذه الشهوة (المذكورة فى رسالة يعقوب).. فيما يعنى أن الشهوة المحرمة فى الناموس هى أبعد فى درجتها من هذه المذكورة فى رسالة يعقوب (١: ١٥).. إذ تعتبر الشهوة المحرمة فى الناموس **خطية قائمة بذاتها**.. دون احتياج لحَبل أو خلافه[٧].

لذلك فالأقرب إلى تفسير ماهية الشهوة فى رسالة يعقوب؛ أنها ما فُطر عليه الإنسان من رغائب خلقها الله وأوجدها فيه لتمارس وفق مشيئته الصالحة.. وفى الخط الذى رسمه.. وبعضها أيضاً فى الوقت الذى حدده.. وهذه فى حد ذاتها ليست خطية.

متى تتحول هذه الرغائب إلى خطية.. فتصل فى درجتها إلى " الشهوة الردية " (كو ٣ : ٥).. وهى المنهى عنها فى الناموس.. (كما فى أماكن أخرى من الكتاب) ؟.. **إذا حبلت**.. ما المعنى ؟

يجيبنا الفاضل الأخ " **ناشد حنا** " بأن **﴿الحَبَل يأتى من اقتران اثنين.. فإذا**

اقترنت الشهوة بإرادة الإنسان.. أى وافق الإنسان على الخضوع لها تحبل.. وتلد الخطية﴾.

لقد اقترنت هنا شهوة " سلطان " مع إرادة الدكتور " رائد " فحدث الحَبل.. وجاء إلى الوجود مولود جديد لم يكن له وجود من قبل.. لكنه ظهر الآن.. ألا وهو الورقة ؛ أو القرار الإرادى الذى وقّعه الدكتور " رائد " .. أو القرار الإرادى التى اتخذه " جيمس " .. أو هو **الخطية** فى رسالة يعقوب.

لا يشفع للدكتور – لو اتخذ القرار فعلاً لا حلماً – وقوعه تحت ضغوط زئير " سلطان ".. أو تحريضات " عباس " .. أو نظريات " أم قشعم " .. بحجة أنها خارج دائرة مسئوليته.

وهو نفس الأمر بالنسبة " لجيمس ".. إذ لا يشفع له – وقد اتخذ القرار – وقوعه تحت ضغوط احتياجاته الجنسية .. أو تحريضات الطبيعية القديمة .. أو نظريات وأفكار إبليس.. بحجة أنها خارج دائرة مسئوليته.

فالمسئولية كاملة تقع على صاحب القرار ومتخذه.. ولو كان استجابة لهذه الاحتياجات .. أو خضوعاً لهذه التحريضات.. أو انقياداً بهذه الأفكار والنظريات.. لا على المُطالِب .. أو المحرِّض .. أو المنظِّر.

لقد حبلت الشهوة لحظة اقتران **رغبات** " سلطان " **بإرادة** الدكتور.. أو غير الدكتور.. ووُلدت الخطية – قبل أن تُنفَّذ.. وُلدت بميلاد قرار الدكتور ، لو صدر – فعلاً لا حلماً – بفتح باب القفص.. وبميلاد قرار " جيمس " الذى أضمره فى نفسه بالقول غداً سأذهب.

فبئس القرار.

خطيـــة لم تُكمل

فى الصباح جمع " جـــيمس " أهبّتــــه.. واتخذ من الملبس ما اتخذ.. شيئاً لــزوم الشئ فى طريقه لتنفيذ قرار الأمس.

على الباب نادته أمه:

♣ أخارج أنت ؟

لِمَ تسألين ؟

♣ ليس لدينا اليوم طعام.. بسرعة اخطف رجلك إلى السوق.. وهــات لنا....

أهذا وقته يا أماه ؟.. المحاضرة.

♣ لم يأت موعدها بعد.

أخبيرة أنت فى المحاضرات.. ومواعيدها ؟

♣ ألا تطيعنى يا ولدى ؟

دعينى من فضلك.

يقولها بحدة .. ويوصد الباب خلفه.. ويترك المنزل.. وقد " تغير دمه " .. ولكن بنسبة بسيطة.

وفى " الميكروباس " – فى طريقه إلى الغزال – يدب شجار بين الـسائق وبين أحد الركاب.. تتوقف العربة.. يصر السائق على اصطحاب الجميع إلى قسم البوليس.. الركاب يتضررون.. بعضهم يتدخل لفض الـشجار سـلمياً.. أكثـرهم حماساً كان " جيمس " .. حرصاً منه على الوصول فى توقيت مرور الغزال.

" معلهش يا أسطى " .. يقولها " جيمس ".

" وانت مالك يا أفندى " .. يرد السائق.

ورانا محاضرات.

" ما تروح منين ما تروح.. حد حايشك " ؟

كلمة من " جيمس " وكلمة من السائق.. بعدها كان السائق يمسك بتلابيب " جيمس " .

ينزعج " جيمس " .. فليس من عادته الدخول فى معارك.. لم يورطه فيها إلا الضغوط الواقعة عليه.. إن من " سلطان " وزئيره.. أو من " عباس " وفتاواه.. أو من " أم قشعم " ونظرياتها.. أو من " ميمون " وإثارته.

السائق يمسك بقميص " جيمس " .. الركاب يتدافعون لتخليصه .. يرتعب " جيمس " .. فهو يدرك أن سائقاً أمياً مثله لا يعرف إلا لغة واحدة؛ هى لغة الضرب وإسالة الدماء، التى تهرب من شرايينه قبل أن يريقها السائق.

يتبدل المأمول لدى " جيمس " .. فبدلاً من الأمل فى ملاقاة الغزال، ينقلب إلى الأمل فى الإفلات من يد السائق.. والنجاة من الإصابة الدموية.

بصعوبة يخلصه الركاب.. وبالكاد يصل إلى المكان المقصود.. وقد " تغير دمه " تماماً .. بنسبة ١٠٠%.. ماما " غيرت دمه " بنسبة بسيطة.. وها هو السائق يأتى على الباقى.. مما جعل " سلطان " المتربع فى كيان " جيمس " يروح فى سبات عميق.

يمر الهدف أمام " جيمس " .. يبحث عن " سلطان " ، يجده فاقد الوعى.. بينما " عباس " يفقد النطق.. ينظر " جيمس " إلى الغزال، فيجده قرداً.

ألا تبَّت يدك أيها السائق.

يعود " جيمس " إلى منزله بأذيال الخيبة.

والسؤال المطروح الآن: هل هناك خطية وُلدت ؟.. والإجابة نعم..

متى ؟.. فى الليلة السابقة.. وعلى مكتبه.. ولحظة اتخاذ القرار.. الذى وافق فيه " جيمس " على إشباع رغبات " سلطان " .. إذعاناً لتحريضات " عباس " بافتراس - غير مشروع - للغزال.. وفى إطار أفكار ونظريات " أم قشعم " [٨].

لا ينفى ميلاد - واحتساب- الخطية، عدم إكمالها.. أو الحال الذى تواجد عليه " سلطان " لحظة الشروع فى تنفيذ القرار.

والخلاصة: كما رأينا فإن قرار الدكتور " رائد " لم يكن قد وصل بعد إلى " سلطان " ليخرج.. ولا نفذه " عم حافظ " .. ولا انفتح باب القفص.. ولا خرج " سلطان " منه .. ولا تحرك من مكانه.. ولا كان هائجاً.. ولا حتى مستيقظاً.. ومع هذا فقد حدث الخطأ.. ووقع المحظور.. وأطل برأسه مولود قمئ جديد.. مؤكداً وجوده بصدور القرار.. وكأنى به يصرخ فور ولادته معلناً تشريفه قائلاً: أنا هنا.

وبالمثل فإن " جيمس " لم يصل إلى هدفه من افتراس الغزال، بدرجة أو بأخرى.. ولا كانت الشهوة فيه مستيقظة وقت أن مر الهدف.. لكن الخطأ قد حدث.. والمحظور قد وقع.. عندما قرر ، فى الليلة السابقة ، قائلاً: غداً سأذهب .. وقد عقد العزم على أن يترك العنان وقتها لغريزته.. إذعاناً للطبيعة القديمة.. وطبقاً لأفكار إبليس.

لقد وُلِدت الخطية دون أن تُرتكب.

وتمت بذلك عبارة الكتاب:

" ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً " (يع ١ : ١٥).

فيا لدقة الوحى.

" اَلْمُتَفَكِّرُ فِي عَمَلِ الشَّرِّ يُدْعَى مُفْسِداً " (أم ٢٤ : ٨)

النظـــــــــرة

رأينا أن اتخاذ القرار الإرادى بتنفيـذ رغبات الغريزة.. نزولاً علـــى إمـــلاء الطبيعـــة القديمـــة.. واقتناعـــاً بأفكـــار إبليس.. هو ميلاد للخطية.. وخروج بها إلى حيز الوجود .. وذلك قبل أن تُعمل.. ودون أن تُرتكب.

لذلك فإن مجرد " فكر الحماقة خطية " ، كما يكتـــب الجامعـــة (أم ٢٤ : ٩).. والله كما يكتب رسول العهد الجديد " يَـدِينُ اللهُ سَـرَائِرَ النَّـــاسِ " (رو ٢ : ١٦).. أى أفكارهم ودواخلهم.. حى لو لم تخرج هذه الأفكار والسرائر إلى حيــز التنفيذ.

- ويقول الرب: " إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ " (مت٥: ٢٨).. فى قلبه.. دون أن يروح أو يجئ.

وهذا يأتى بنا إلى موضوع النظرة إلى المرأة.. لنجد أنها واحدة من ثلاث نظرات.

الأولى: نظرة إليها كأم.. أو أخت.. أو ابنة .. أو زميلة.. أو مـــا أشـــبه.. وهذا يؤدى إلى التعامل اليومى معها بصورة طبيعية سوية.. مـــع الوضـــع فـــى الاعتبار أنها الإناء الأضعف (ابط ٣ : ٧).. مع ما يؤدى إليه ذلك من تمييزها فى التعامل – بصفة عامة – كإعطائها الأولوية فى السير، على ســبيل المثـــال.. وغير ذلك كثير مما يتناسب مع ضعفها[٩].

الثانية: نظرة غير مقصودة توقظ " سلطان " فجأة.. وذلك لأسباب بعضها يتعلق بالمرأة.. والأكثر يتعلق " بسلطان " .. فيهب زائراً.. ومطالباً بـــالافتراس.. إلى هنا.. وحتى الآن.. لا غبار.. طالما لم يصدر قرار بالمصادفة على رغبـــات

" سلطان " .. فيما يؤدى إلى غضّ النظر، وعدم التمعُّن فيه.

أما **الثالثة**: فنظرة مقررة.. ومدبرة.. بمشورة " عباس " .. واقتناعاً بنظريات " أم قشعم " .. وذلك بغرض إشباع " سلطان " عن طريق مجرد النظر.. وهذه هى التى قصدها الرب.

لذلك فإن الرب يقول: " كل من ينظر إلى امرأة لـ..**يشتهيها** " .. فهى نظرة مسببة.. بغرض إشباع " سلطان " .. إذاً " فقد زنى بها فى قلبه " (متى٥: ٢٨).

وافقت الإرادة هنا وصادقت على مطالب الشهوة الداخلية.. فصدر القرار بالنظر ، أو بالتمعُّن فيه.. فجاءت النظرة الخارجية تنفيذاً لقرار إشباع هذه الشهوة.. فوُلدت الخطية؛ خطية الزنى فى القلب- دون أن ترتكب بالفعل.

إنه ميلاد واحتساب للخطية ، دون أن تُكتمل هذه الخطية فعلاً وتنفيذاً.

وما يقال عن نظرة الرجل إلى المرأة يمكن أن يقال – وإن كان بصورة أقل – عن نظرة المرأة إلى الرجل.. " فسلطان " عند المرأة الناضجة السوية لا يتأثر بالنظر إلى الرجل بقدر ما يتأثر بالمعنويات.. كالعطف.. والحنان.. والحب.. وضمان الحماية.. وغير ذلك.. لهذا فإن الرب لا يقول ؛ كل من تنظر إلى رجل لتشتهيه ....إلخ

وبصدد النظرة، يذكر قداسة " **البابا شنودة الثالث** " فى إحدى عظات الأربعاء؛ أن ﴿.... النظرة العابرة البريئة لا غبار عليها.. وإلا لطلب الرب منا أن نسير مغمضى العيون، تحاشياً للنظر إلى المرأة.. ويضيف قداسته بأن العثرة تأتى من العين لا من المرأة.. وإلا لخلق الله العالم كله رجالاً حتى لا تعثرهم النساء.. أو لخلقهم نساء حتى لا يعثرهن الرجال.. لذلك قال الرب: " إن أعثرتك عينك – وليس إن أعثرتك المرأة – فاقلعها (مت ٥ : ٢٩)﴾

وفى نفس الاتجاه يكتب الرسول: " وَلاَ تَصْنَعُوا تَدْبِيراً لِلْجَسَدِ لأَجْلِ الشَّهَوَاتِ " (رو ١٣ : ١٤).

" تدبيراً للجسد " : ما المعنى ؟.. معناه؛ تدبير نابع من الجسد.

لأجل الشهوات: ما المعنى ؟.. معناه؛ إشباعاً للشهوات.

فتصبح العبارة بلغة قصتنا: لا تصنعوا تدبيراً نابعاً من " عباس " إشباعاً " لسلطان " – أو غير " سلطان " من الغرائز الأخرى بصفة عامة(١٠) – ليس بالضبط كما فعل الدكتور فى حلمه – فالتدبير والتخطيط لا يكون فى الأحلام – بل تماماً كما دبر وخطط " جيمس " فى واقعه.

تدبير " عباس " إذاً وتخطيطه، لو صادق عليه الدكتور – فى الواقع – هو الخطأ بعينه.. وليس احتياج " سلطان " أو زئيره.

كذلك تدبير الجسد (الطبيعة القديمة) وتخطيطه عندما صادق عليه " جيمس " هو الخطية بعينها.. وليست الشهوة الجنسية أو مطالبها.

اكتمال الخطيــة

"...." وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمُلَتْ تُنْتِجُ مَوْتاً "

(يع ١ : ١٥).

تمر فترة من الزمن – قليلة أو كثيرة – قبل أن نعود إلى " جيمس " لنجده جالساً إلى مكتبه كالمعتاد.. فى سكون الليل.. وقد هدأت خواطره.. واسترجعت دماؤه طبيعتها.. وصحا " سلطان " من غفوته.. يهرّ ويزأر بأكثر شدة.

فى هذه الحالة يكون اتخاذ القرار – لمن سبق واتخذه – أكثر سهولة.

☠ تذهب غداً.. يهمس " عباس ".

🕴 وماما ؟

☠ لن تؤخرك ماما.. اخرج .. دون أن تلوى على شئ.

🕴 والميكروباس ؟

☠ لن يعطلك ميكروباس.. استقل تاكسياً.. دون أن تحتسب لشئ.

🕴 على البركة.. سأذهب غداً.. يقرر " جيمس ".

هنا وُلدت الخطية كما سبقت الإشارة.. وإن كنا نطرح الآن واحداً من أسوأ الأساليب التى يمكن أن تُكمل بها الخطية.. إلا أنه ليس بالضرورة أن تُكمل الخطية بهذا الأسلوب عند كل شاب.. لكننا نتناول حالة قصوى.. كمثال.

نعود إلى " جيمس " .. لنجده وقد نفذ مشورة " عباس " .. فى الصباح خرج .. وفى التوقيت المضبوط وصل.. وفى المكان المقصود انتظر.

هلّ الغزال.. هل هو بعينه الغزال المرتقب.. أم غزال آخر ؟.. لا فرق عند " سلطان " .. أغزال هو أم قرد ؟.. " ريم " أم " ميمون " ؟.. لا يهم.. ما دام " سلطان " يراه غزالاً وريما.. من ثم فهو حرىٌّ بالافتراس، كما يوعز " عباس " .

سار خلفها.. رمقته بنظرة استنكار.. ودلفت بسرعة إلى معهدها.

انتظر على الباب.. مرَّت أخرى.

☠ ما رأيك يا " جيمس " ؟ .. يتساءل " عباس " .

الرأى " لسلطان " .. يرد " جيمس " .

ولأن " سلطان " لا فرق لديه.. فإن " أم قشعم " تستبق الرد، وتبادر بالقول بأنه غزال أفضل من سابقيه.

فيالك من رِئبال فى شراهته يا " سلطان " .. ويالك من دساس فى مشورتك يا " عباس " .. ويالك من رقطاء فى خداعك يا " أم قشعم ".

هم " جيمس " أن يقترب منها.. لاقاها بعض زملائها.. انسحب " جيمس " وجلاً.

وهكذا مرة وراء مرة.. وربما يوماً وراء يوم، يستقطع " جيمس " من وقته.. ليذهب فى مواعيد بعينها إلى أماكن بعينها.. لعل " سلطان " يُرزق بغزال.. أو ما يراه غزالاً.. ولأنه " ليس فى كل مرة تسلم الجرة " .. فقد رآها قادمة.

☠ إنها تحمل حقيبة.. طالبة مثلك يا " جيمس " .. تقدم واغتنم الفرصة.. يهمس " عباس " .

تبعها " جيمس " .. تباطأت، فتسارعت دقات قلبه.. وقفت، فوقف قريباً منها.. سارت، سار خلفها.

دون قنوات اتصال لفظية، تُرجمت الرسائل.. ومع امتداد مسافة الطريق، امتدت جسور الكلام بينهما.

ولو خُضت فيما حدث بينهما بعد ذلك، لربما ثارت علىّ ثائرة من يقيمون من أنفسهم حراساً للفضيلة.

لذلك سأقتبس من العهد القديم ما جاء على لسان الجامعة سليمان – لا على لسانى – من سفر الأمثال والأصحاح السابع.. مع تدوين رقم كل عدد من هذا الإصحاح أول السطر لتمييزه عن الحوار الخيالى الذى أضيفه – بين السطور – من عندى ، دون كتابة أرقام.

٦) لأَنِّي مِنْ كُوَّةِ بَيْتِي مِنْ وَرَاءِ شُبَّاكِي تَطَلَّعْتُ.

٧) فَرَأَيْتُ بَيْنَ الْجُهَّالِ لاَحَظْتُ بَيْنَ الْبَنِينَ غُلاَماً عَدِيمَ الْفَهْمِ .

٨) عَابِراً فِي الشَّارِعِ عِنْدَ زَاوِيَتِهَا وَصَاعِداً فِي طَرِيقِ بَيْتِهَا.

٩) فِي الْعِشَاءِ فِي مَسَاءِ الْيَوْمِ فِي حَدَقَةِ اللَّيْلِ وَالظَّلاَمِ.

١٠) وَإِذَا بِامْرَأَةٍ اسْتَقْبَلَتْهُ فِي زِيِّ زَانِيَةٍ وَخَبِيثَةِ الْقَلْبِ.

١١) صَخَّابَةٌ هِيَ وَجَامِحَةٌ. فِي بَيْتِهَا لاَ تَسْتَقِرُّ قَدَمَاهَا.

١٢) تَارَةً فِي الْخَارِجِ وَأُخْرَى فِي الشَّوَارِعِ. وَعِنْدَ كُلِّ زَاوِيَةٍ تَكْمُنُ.

١٣) فَأَمْسَكَتْهُ وَقَبَّلَتْهُ. أَوْقَحَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ لَهُ:عَلَيَّ ذَبَائِحُ السَّلاَمَةِ.

أهكذا أنت متدينة.. وتقدمين الذبائح ؟

أتخيل " جيمس " يقولها.. فترد المرأة:

١٤) اَلْيَوْمَ أَوْفَيْتُ نُذُورِي.

وتنذرين أيضاً ؟.. يا لك من قديسة.

وماذا تظننى ؟

ظننتك طالبة فى الجامعة.

أية جامعة يا شاطر ؟.. أنا فى جامعة الحياة .." موش زيك " .

على رسلك.. هل غضبت منى ؟

" روح ذاكر " .

" حقك علىّ.. موش قصدى " .

أأعتبرك تحقيقاً لرغبة.. نذرت من أجلها نذراً.. ثم تخذلنى هكذا ؟

أكان نذكرك من أجلى أنا ؟

١٥) فَلِذَلِكَ خَرَجْتُ لِلِقَائِكَ لأَطْلُبَ وَجْهَكَ حَتَّى أَجِدَكَ.

وجهى أنا ؟!.. يا لى من بليد.. ستوفين نذكرك حتماً.

١٦) بِالدِّيبَاجِ فَرَشْتُ سَرِيرِي بِمُوَشَّى كَتَّانٍ مِنْ مِصْرَ.

١٧) عَطَّرْتُ فِرَاشِي بِمُرٍّ وَعُودٍ وَقِرْفَةٍ.

١٨) هَلُمَّ نَرْتَوِ وُدّاً إِلَى الصَّبَاحِ. نَتَلَذَّذُ بِالْحُبِّ.

وزوجك ؟

١٩) الرَّجُلَ لَيْسَ فِي الْبَيْتِ. ذَهَبَ فِي طَرِيقٍ بَعِيدَةٍ.

ربما عادة فجأة.

٢٠) أَخَذَ صُرَّةَ الْفِضَّةِ بِيَدِهِ. يَوْمَ الْهِلاَلِ يَأْتِي إِلَى بَيْتِهِ.

ويضيف الحكيم

٢١) أَغْوَتْهُ بِكَثْرَةِ فُنُونِهَا بِمَلْثِ[١١] شَفَتَيْهَا طَوَّحَتْهُ.

٢٢) ذَهَبَ وَرَاءَهَا لِوَقْتِهِ كَثَوْرٍ يَذْهَبُ إِلَى الذَّبْحِ أَوْ كَالْغَبِيِّ إِلَى قَيْدِ الْقِصَاصِ

٢٣) حَتَّى يَشُقَّ سَهْمٌ كَبِدَهُ. كَطَيْرٍ يُسْرِعُ إِلَى الْفَخِّ وَلاَ يَدْرِي أَنَّهُ لِنَفْسِهِ.

هنا اكتملت الخطية.. ونأتى بذلك إلى الشق الثانى من عبارة يعقوب فى رسالته:

" والخطية إذا كملت تنتج موتاً " (يع١: ١٥)

وهكذا.. عندما صدر القرار بفتح باب القفص " لسلطان " ، وُلدت الخطية.. قبل أن يُفتح الباب.. لأن **" الشهوة إذا حبلت تلد خطية "**.

أما وقد تم فتح الباب.. وخرج " سلطان " .. وعربد.. وساء سبيلاً.. فقد اكتملت الخطية.. " **والخطية إذا كملت تنتج موتاً** ".

بماذا تنصحنا أيها الجامعة الحكيم .. قبل أن يشق السهم الكبد (أم٧ : ٢٣).. ويسبق السيف العزل ؟

٢٤) وَالآنَ أَيُّهَا الأَبْنَاءُ اسْمَعُوا لِي وَأَصْغُوا لِكَلِمَاتِ فَمِي.

٢٥) لاَ يَمِلْ قَلْبُكَ إِلَى طُرُقِهَا وَلاَ تَشْرُدْ فِي مَسَالِكِهَا.

٢٦) لأَنَّهَا طَرَحَتْ كَثِيرِينَ جَرْحَى وَكُلُّ قَتْلاَهَا أَقْوِيَاءُ.

٢٧) طُرُقُ الْهَاوِيَةِ بَيْتُهَا هَابِطَةٌ إِلَى خُدُورِ الْمَوْتِ.

هكذا وإن كنا قد تناولنا واحدة من أقصى الدرجات التى يمكن أن تُكمل بها الخطية – خطية إشباع " سلطان " .. إشباعاً غير مشروع – إلا أن هناك درجات أقل – لم نشر إليها – يمكن أن تكتمل بها الخطية.

لكن النتيجة واحدة.. وهى الموت.

أى موت هذا ؟

يجيبنا الأخ " **ناشد حنا** " بأنه؛ ﴿الموت الأبدى بالنسبة لغير المؤمنين.. والموت الزمنى تحت التأديب بالنسبة للمؤمنين﴾

وليس بالضرورة أن يكون هذا الموت فورياً.

فبالنسبة للبعيد، يكون بعد اكتمال مكيال إثمه (مت ٢٣ : ٣٢).

وبالنسبة للمؤمن ، يكون بعد وصوله إلى " حد الموت " .. وهو الرقم المحدد لتكرار خطيته.. وبوصوله إليه تعتبر خطيته خطية للموت[١٢] (ايو ٥ : ١٦).

الدكتور فى المعاش

يُحال الدكتور إلى المعاش.. وينتقل إلى سكن آخر.. يبتعد فيه - جزئياً- عن " سلطان ".. فلا يصل إليه هريره المنخفض.. حتى زئيره المرتفع، بالكاد كان يسمعه.

يستريح الدكتور إلى حد ما من إلحاح " سلطان " ولجاجته.. لكن يظل " عباس " محرضاً للدكتور على عصيان القوانين والأعراف.. وتظل " أم قشعم " تنفث أفكارها بأنه لا شئ أفضل من الاستقلال التام عن وزير الزراعة ووزارته.

وبالمثل يكبر " جيمس " .. ويتقدم فى الأيام.. فيشيخ وتنطفئ جذوة الغريزة لديه.. وتنطبق عليه كلمات الحكيم: " **وَالشَّهْوَةُ تَبْطُلُ** " (جا١٢: ٥).. بكل أنواعها.. حتى كل بنات الغناء تُحط (جا١٢: ٤).. أى لا تعود الأذن تستسيغ صوت الموسيقى.

لقد عرض داود الملك أن يرد الجميل إلى برزلاى الجلعادى (من روجليم) فقال له: " اعْبُرْ أَنْتَ مَعِي وَأَنَا أَعُولُكَ مَعِي فِي أُورُشَلِيمَ " (٢صم١٩: ٣٣).. " وَكَانَ بَرْزِلاَّيُ قَدْ شَاخَ جِدّاً " (٢صم١٩: ٣٢).. " فَقَالَ بَرْزِلاَّيُ لِلْمَلِكِ: كَمْ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِي حَتَّى أَصْعَدَ مَعَ الْمَلِكِ إِلَى أُورُشَلِيمَ؟ أَنَا الْيَوْمَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً. هَلْ أُمَيِّزُ بَيْنَ الطَّيِّبِ وَالرَّدِيءِ، وَهَلْ يَسْتَطْعِمُ عَبْدُكَ بِمَا آكُلُ وَمَا أَشْرَبُ، وَهَلْ أَسْمَعُ أَيْضاً أَصْوَاتَ الْمُغَنِّينَ وَالْمُغَنِّيَاتِ؟ .... دعْ عَبْدَكَ يَرْجِعُ فَأَمُوتَ فِي مَدِينَتِي.... " (٢صم١٩: ٣٤ - ٣٧).

وهكذا يشيخ " سلطان " وغير " سلطان " من الغرائز.. والملكات.. والقدرات على التذوق.. والاستطعام.. والاستملاح.

أما " عباس " فإنه لا يشيخ.. فهو الطبيعة المتوارثة على مدى ستة آلاف

عام.. ومستمرة فى الإنسان – بكل قوتها – حتى موته.. ومستمر توارثها حتى آخر مولود على هذه الأرض؛ الأرض الأولى (رؤ ٢١ : ١).

كذلك " أم قشعم " .. إنها لا تهرم .. فهى " الحية القديمة " (رؤ ٢٠ : ٢).. والمستمر وجودها مع حيلها ومكائدها ضد المؤمن.. (وباقى أعمالها مع غير المؤمن).. حتى نهايتها (رو ٢٠ : ١٠).

فإن كانت سطوة " سلطان " هى إلى أجل مسمى، تضمحل بعده.. فإن " عباس " لا يفتأ فتياً.. و " أم قشعم " لا تنفك داهية.

وهذا يؤكد لنا أن المشكلة ليست فى " سلطان " .. بل فى " عباس " ؛ رأس الفساد.. مدعوماً من " أم قشعم " ؛ أس الخداع.

الجسد إذاً.. والشيطان.. هما المطلوب مناهضتهما.. وعدم الخضوع لهما.. بل والانتصار عليهما.

أما " سلطان ".. فالانتصار لا يكون عليه.. لأنه وإن كان حبسه مطلوباً[١٣] –وذلك إلى حين– فهو **ليس عدواً** حتى ننتصر عليه.. بل مسكين فى نهاية الأمر، طالما استمر محبوساً.. لأنه احتياج إنسانى.. شأنه شأن باقى احتياجات اللحم والدم.. هذه الاحتياجات التى تضع الإنسان – من حيث تكوينه – فى مرتبة أدنى وأضعف من " مَلاَئِكَةِ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ " (مت٢٢: ٣٠).. الذين لا يأكلون .. ولا يشربون.. " لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ " (مت٢٢: ٣٠).. لا يحتاجون .. ولا يموتون.

ولأنه احتياج إنسانى، لذلك فإن المعاناة من عدم إشباعه – إن وجدت – هى **ضعف** بشرى – وليس خطية – ويندرج تحت عنوان **الضعـفات**.. التى تستمطر خدمة رئيس الكهنة، من رثاء .. وعطف.. ومعونة .. ونعمة .. إذ هو " يرثى **لضعفاتنا** " (عب٤: ١٥)[١٤].

فإن لم يكن الانتصار هو على " سلطان " ، فإنه يكون على " عباس " ، وعلى من تقف وراءه " أم قشعم " .

وكثير من المفكرين ورجال الدين – حتى غير المسيحيين – قد وصل إلى هذه الحقيقة .. فها هو " **الإمام البوصيرى** " يكتب:

وخالف **النفس والشيطان** واعصيهما	وإن هما محّضاك النـــصح فـــاتّهم
ولا تطع منهما خصمـــــاً ولا حكمــاً	فأنت تعرف كيد الخصـــمِ والحكـــم

كيف يتحقق الانتصار عليهما؟

الانتصار على " أم قشعم " ليس مشكلة.. أما الانتصار على " عباس " فهو مشكلة المشاكل.

* لماذا ؟

لأن الانتصار على الحية القديمة ؛ إبليس ، يخضع لمفاهيم الحروب، المؤسسة على مبدأ: من جد وجد.. ومن جاهد غلب.. ومن تسلح جيداً ضمن الانتصار.. لذلك فإننا ندخل هذه الحرب الروحية – مع إبليس – مقتنعين بهذه الفكرة.. ومتسلحين بالأسلحة الروحية الواردة في (أفسس٦).. ومتى خضنا هذه الحرب ببسالة.. وجاهدنا فيها الجهاد القانونى (٢تى ٢ : ٥)، فلن تكون هناك مشكلة فى الانتصار.. لهذا فلن نتطرق لهذه الحرب فى هذا الكتيب[١٥].

أما الانتصار على الطبيعة العاصية فهو المعضلة الكبرى.

وذلك لاستحالة تحقيق هذا الانتصار فى صراعنا معها، طالما بتنا لا نعرف الأسلوب الصحيح لإدارة هذا الصراع.. أو نرفض الاقتناع به.

فبالإضافة إلى كونها حرباً خبيثة .. لأنها مع عدوٌ مخادع (أر ١٧ : ٩)

ليس خارجاً عنا.. بل ساكن فينا ؛ ألا وهو الطبيعة الفاسدة (رو ٧ : ١٨).. التى لا خلاص منها إن بإغفاءة أو بنوم .. بضعف أو بمرض.. ولا بأى شئ.. سوى بخلع هذا الجسد بالموت (٢ بط ١ : ١٤).. أو بتغييره بمجئ الرب (فى ٣ : ٢١).

أقول بالإضافة إلى هذا، فإن خوض هذه الحرب يخضع لمفهوم معاكس تماماً لجميع نظريات ومبادئ الحروب.

عجيب!!.. ما هو ؟

القول بأن من جاهد انتصر هو قول صحيح إن كانت الحرب متكافئة.. أو كان الطرف المطلوب منه أن يجاهد أقوى من الطرف المقابل.

أما إن كان أضعف، فالنتيجة محسومة منذ البداية ، وبئس النتيجة .. والهزيمة هى المآل، وبئس المآل.. والجهاد الذاتى – والأفضل تسميته بالصراع – هو الخطأ ، وبئس الخطأ.

وقد أشار الرب له المجد إلى حرب غير متكافئة بين جيش قوامه عشرة آلاف.. وجيش قوامه عشرون (لو١٤: ٣١).. وأكد أن المنطق الطبيعى يقتضى أن الطرف الأضعف لا يدخل هذه الحرب (لو١٤: ٣٢).

ولما كانت الطبيعة القديمة هى **الطرف الأقوى** فى حربها ضد المؤمن.. وهو **الطرف الأضعف** .. لذلك فنتيجة دخوله هذه الحرب – بالمفاهيم المطبقة فى الحروب – هى الهزيمة بدون شك.

لكن المؤمن ببساطة.. وبإخلاص.. وبجهل بالمطلوب منه.. يدخل هذه الحرب.. مطبقاً النظريات والقوانين البديهية للحروب ؛ بأن من جد وجد.. ومن جاهد انتصر.. غير عالم بأنه **الطرف الأضعف**.. من ثم فهو يُمنى بالهزيمة

النكراء، متى دخل هذه الحرب.. مهما كانت درجة إخلاصه.. أو قوة جهاده.

المتسبب فى الهزيمة إذاً ، هو المفهوم الخاطئ لديه.. والذى يعمم مبدأ **الجهاد.. فيطبقه فى كل الحروب الروحية..** بلا تفرقة بين حرب وأخرى.

وقد سبق أن تناولنا هذه المفاهيم فى عددين سابقين من هذه السلسلة[١،٢].

وسنعيد تناول المفهوم الصحيح الآن فى حكاية الدكتور.. ثم نردف بمثال من الكتاب.. يبين أسباب الهزيمة.. وأسلوب الانتصار.

الدكتور يستغيث

وهكذا كما رأينا، فإن المشكلة ليست في وجود " سلطان " .. أو حتى في زئيره ومطالبته.. بل في تحريضات " عباس " ؛ أى الجسد.. الذى .... يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ " (غل ٥ : ١٧).. ناهينا عن تنظيرات " أم قشعم " .

فإن تم تحجيم " عباس " ؛ المحرض الأول، سهل علينا العزوف عن تصويرات " أم قشعم " وتنظيراتها.. والنجاح فى هزيمتها. ؛ أى هزيمة إبليس (طبقاً لأفسس ٦).

أما " سلطان " ، فبعد ذلك لن تكون هناك مشكلة معه لأن علاج مشكلة " عباس " واسع المدى.. يمتد تأثيره إلى " سلطان " وغير " سلطان " .. ثم من يقوى على " عباس " لن يصعب عليه بعد ذلك حبس " سلطان " .. بل أيضاً تهدئة زئيره.

لن نسأل كيف يمتنع الشاب عن إكمال الخطية .. بل كيف لا ينجذب من البداية وراء شهوته (يع ١ : ١٤).. أى لا يصادق عليها إرادياً.. وبالتالى لا تولد الخطية من الأصل.

لذلك نعود إلى الدكتور " رائد " لنجده – أثناء شغله للوظيفة.. وقبل خروجه إلى المعاش – يتصل بوزير الزراعة ؛ الرئيس الأعلى لحدائق الحيوان.. بموظفيها.. وكل من فيها.. شاكياً له:

■ " سلطان " يا معالى الوزير ؟

⁂ مشكلتك فى عباس صديق العائلة اللصيق.. لا فى " سلطان " ، الذى وضعناه فى الحديقة لأسباب وجيهة.

■ و " أم قشعم " .. هل لها أيضاً علاقة بعائلتنا.. أم كانت بالوزارة

طرفكم، وطرحتموها إلى الحديقة.. أم نحن المسئولون عن وجودها ؟

⁂ ليس لها أى صفة رسمية .. لك أن تنتهرها، ولا تستمع إليها.

■ " سلطان " هو الذى يستمع لها.

⁂ بل " عباس " هو الوسيط بينها وبينك.. و " سلطان " مقطوع الصلة بها.. مع كونه مصدر شكواك.

■ ألا تريحنا منها ؟

⁂ " لكل شئ تحت السماء وقت "

■ " قد تضايقت " .

⁂ لدىّ الحل.

■ لعله يكون فتح باب القفص " لسلطان " .. بت أحلم بذلك يا معالى الوزير.

⁂ **لا تثريب على الأحلام.. لكن إياك أن تفعل هذا فى الواقع قبل** الوقت.. هذا هو الخطأ بعينه.

■ وما العمل ؟

⁂ لا تصادق على رغبات " سلطان " .

■ غير قادر.. استنفذت كل أسلحتى.. ولم يتبق فى كنانتى غير سهم أخير.. ألا وهو **الاستغاثة** بكم.. وتحويل الملف برمته إلى معاليكم.

⁂ ونعم التصرف.. لذلك فإنى سأقيض لك المساعد " عبد الحى " .

■ ليساعدنى ؟

⁂ بل لينوب عنك.. فيما عجزت عنه.

■ أيقدر على " سلطان " ؟

⁂ بل على " عباس " بالدرجة الأولى.. من ثم يهون أمر " سلطان " .

■ ظننتك ستجيبنى إلى طلبى .. بأن تمدنى بسلاح أعطيه " لعم حافظ " يقمع به " سلطان " .

⁂ حتى السلاح .. لن يجدى طالما بات فى يد " عم حافظ " الحارس .. فهو ضعيف مثلك.. و " سلطان " أقوى منه، ولو كان مسلحاً.. و " عباس " أقوى منك ، ولو كنت رائداً لاتخاذ القرارات الصحيحة.. أما المساعد " عبد الحى " فهو أقوى من الكل.. لأنه رجل شرطة.

■ ظننت " سلطان " أكبر قوة فى الحديقة.

⁂ وهذا رأى جُلّ علمائكم.. بل يرى بعضهم أنه المحرك الأساسى لكل الطاقات والقوى.. كل الأقوال والأفعال.. مغفلين دور "عباس".. بل ساهين عن وجوده أساساً.. وعلى العموم فتأثير " سلطان " هو على من فى الحديقة مثلك.. ومثل " عم حافظ " .. أما المساعد " عبد الحى " فهو من خارج الحديقة.. ومن خارج دائرة المدنيين جميعاً.. إنه من صف الضباط.. ومتمرس على التعامل مع أمثال " عباس " ، بما له من إمكانيات فائقة.

■ ومتى سترسله ؟

⁂ لقد وصلك للتو.. لحظة استغثت بى.

وإن هى إلا لفتة، حتى وجد الدكتور أن " عباس " قد انزوى وتوارى.. و" أم قشعم " ، وقد ولّت أدبارها.. و " سلطان " ، وقد هدأت ثائرته إلى حد ما.. كل هذا **بوصول** المساعد عبد الحى.. بعد **استغاثة الدكتور**.

وبالمثل، فإن " جيمس " ، أو غيره من الشباب يريد أن يعيش طاهراً (اتى ٥ : ٢٢)، ولكنه **يعجز** أمام أمياله الجنسية من ناحية (سلطان).. وتحركات الطبيعة العاصية من الناحية الأخرى (عباس) .. وأفكار إبليس من الناحية الثالثة (أم قشعم).. وإغراءات العالم من الناحية الرابعة (ميمون).

هذه الأربعة ، كتب عنها " **الأب سهيل فرحات** " قائلاً:

إني بُليت بأربع لم يخلقوا إلا لشدة بلوتى وشقائى
إبليس والدنيا ونفسى والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائى[١٦]

أما الأديب " **عباس العقاد** " فقد أشار إلى واحدة منها ؛ وهى النفس البشرية.. وبلغتنا هى الطبيعة العاصية.. عندما قال: ﴿ الإنسان لا يحمل صليبه.. إنما الإنسان صليب نفسه.. هو مصدر الحياة ومصدر الموت لنفسه ﴾ .. قاصداً بذلك أن طبيعة الإنسان هى صليبه المؤدى به إلى الموت.. أو هو أداة هذا الموت.

وإذ يصل " جيمس " أو غير من الشباب إلى الفشل التام فى إدراك ما يريد، فإنه **يستغيث** بمن هو أعلى منه.. فيرتمى عند قدمى الرب.. معلناً عجزه التام عن الوصول إلى ما يروم من القداسة.. ومعترفاً بهزيمته المتكررة[١٧].. وحاسباً نفسه غير قادر فى جهاده الناموسى على الانتصار.. لا حالياً، ولا مستقبلاً.. طارحاً كل ثقة فى إمكانياته الذاتية.. وفى قدراته.. وفى تاريخه الروحى، إن كان له تاريخ.. مردداً مع الرسول: " وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هذَا الْمَوْتِ؟ " (رو٧: ٢٤).. أقول إذ يصل إلى هذا الإقرار عن قناعة تامة، فإن الحل سيوافيه.. وسينطبق عليه قول المرنم: " **يَا رَبُّ إِلَهِي اسْتَغَثْتُ بِكَ فَشَفَيْتَنِي** " (مز٣٠: ٢).. و " **إِلَى صَخْرَةٍ أَرْفَعَ مِنِّي تَهْدِينِي** " (مز ٦١ : ٢).. إذ سيختبر شيئاً جديداً غير مألوف لديه.. ومغاير للمفاهيم المفترضة للانتصار فى كافة الحروب.

فإن كان قد اختبر الهزيمة – بعد صراعه الناموسى المرير – أمام " نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِه " (رو ٧ : ٢٣).. أى الشر الحاضر عنده (رو ٧ : ٢١).. والمتمثل فى " **عباس** " فى قصتنا لا فى " **سلطان** " .. فإنه سوف يختبر انتصاراً سهلاً مدفوعاً إلى إحرازه دون صراع.. أو جهاد.. أو مجهود.. مقدماً إليه من خارج كيانه.

يتضاءل " الصول عبد الحى " أمام " **نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ** " (رو٨: ٢).. الذى سيوافى هذا المصارع المغلوب .. بعدما أعلن هزيمته.. **فيمده بقوة الحياة فى مواجهة ناموس الخطية والموت** .. قوة الحياة النابعة من الروح القدس بصفته روح **الحياة**.. وليست القوة البشرية النابعة منه كإنسان فى الجسد فى مواجهة ناموس الله .. وناموس الخطية .. أو أى ناموس آخر.. فيهتف مع الرسول: " **لأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ وَالْمَوْتِ** " (رو٨: ٢).

ومتى انتصر على الطبيعة القديمة بقوة روح الحياة.. وطبّق مع الرسول قوله: " بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ " (رو ٨ : ١٣).. أى أعمال " عباس " .. فسيكون لنا بعد قليل تعليق على الموقف من " سلطان " .

لكن الملفت للنظر أن الأمر لا يقف عند الحد السلبى وهو العتق من ناموس الخطية.. بل يمتد أيضاً إلى ما هو إيجابى.

فبعد أن يعجز الدكتور " رائد " عن اتخاذ القرار الصحيح تجاه " سلطان " أو غيره، نجد أنه بوصول المساعد " عبد الحى " ستتقلص اختصاصات الدكتور.

فلن يكون **صاحب القرار**.

كما لن يكون **صاحب المبادرة** ؛ أى القائم بالتنفيذ.

فلا **القرار** .. ولا **التنفيذ** ، سيغدوان من اختصاصه .. بل سينتقل هذا الاختصاص إلى الوافد الجديد، المساعد " عبد الحى " .

وهو نفس ما يحدث مع المؤمن ، بعد خضوعه " لنَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ " .. إذ لن ينتصر فقط على الجسد ؛ أى الطبيعة القديمة.. بل سيمتد تأثير ناموس روح الحياة وسلطانه إلى كافة أنحاء حياة هذا المؤمن.. ليصبح **اتخاذ القرار** الإيجابى الصحيح.. كذلك أيضاً إمكانية **تنفيذه** مخوَّلان للروح القدس ؛ روح

الحياة ، بناموسه الجديد.

ومع هذا يُحتسب لهذا المؤمن أنه **صاحب ومتّخذ** هذا القرار الصائب.. والقائم أيضاً **بتنفيذه**.. فتنطبق عليه (على المؤمن) العبارة: " لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا (أى تتخذوا القرار) وَأَنْ **تَعْمَلُوا** (أى تقوموا بالتنفيذ) مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ " (فى ٢ : ١٣).

****

إرادتـــــى احفــــظ فهـــى لــــك	لــــيس مــــرادى الآن لــــى
قلبــــــى احفظـــــن فيُمتلـــــك	بحــــب شخــــصك العلــــى

حبــــــى احفظنــــــه ذاخــــــراً	إيـــــاه كــــالكنز الثمــــين
وكــــــن لنفــــــسى **حافظـــــاً**	إنـــــى **ضـــعيف** يـــا معـــين

كن لنفسى حافظاً بديلاً عن " عم حافظ " .. وكن لنفسى صاحب القرار ، ومنفذه .. لأنى ضعيف يا معين.

الهزيمة وأسبابها

بعد أن استخدمنا تشبيهات خيالية ، دعونا نكرر نفس ما أشارت إليه من معان.. ولعله يشفع لنا فى تكرارنا، أننا سنستخدم هذه المرة رموزاً كتابية.. توضح لنا أسباب الهزيمة .. وبعد ذلك نرى طريق الانتصار.

شعب الله فى العهد القديم هم اليهود.. أما الآن ، فهم فى حالة " لُوعَمِّي "؛ أى لستم شعبى ، كقول الرب لهم (هو ١ : ٩) .. وأصبح شعب الله فى العهد الجديد، يشمل المؤمنين " **مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ** " (رؤ٥: ٩).

وأحوال ذلك الشعب – **الحرفية**- قديماً، كانت نموذجاً **ومثالاً** لأحوال المؤمنين – **الروحية**- فى العهد الجديد.. كما يكتب الرسول: " **وَهَذِهِ الأُمُورُ حَدَثَتْ مِثَالاً لَنَا** " (١كو ١٠: ٦).. وأيضاً: " **فَهَذِهِ الأُمُورُ جَمِيعُهَا أَصَابَتْهُمْ مِثَالاً وَكُتِبَتْ لِإِنْذَارِنَا نَحْنُ الَّذِينَ انْتَهَتْ إِلَيْنَا أَوَاخِرُ الدُّهُورِ** " (١كو١٠: ١١).

وإن كان هناك انفصال فى العهد القديم بين اليهود والأمم.. لاعتبار الأولين شعباً مختاراً من الله.. وإن كان هذا الانفصال قد وصل إلى حد قيام حائط معنوى بينهما.. يسميه الرسول " **حائط السياج المتوسط** " فإن المسيح فى العهد الجديد " **نَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ**[١٨] **أَيِ الْعَدَاوَةَ** (بين اليهود والأمم).... **قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ** (أى بالصليب) " (أف ٢: ١٤- ١٦).

ومن باب أولى ليست هناك عداوة عرقية أو دينية الآن بين مؤمنى العهد الجديد وبين أى شعب.. أو دولة.. أو فرد.

لذلك فلا حرج على الكاتب، ولا حساسية ينبغى أن تكون لدى قارئ أو آخر، إن تناولنا تلك العداوات والحروب **الحرفية قديماً كمثال** لشرح ما ترمز إليه

من حروب روحية فى العهد الجديد.

وفى عدد سابق[1] كنا قد تأملنا فى أدوم ونسله.. حتى هامان.. مروراً بعماليق.. وعداوتهم للشعب.. ومحاربتهم له.. ورأينا أنهم يرمزون للجسد ؛ أى للخطية الأصلية، وهى الطبيعة العاصية الساكنة فينا.. محاربة المؤمن.. لدفعه لعمل الشر الذى ليس يريده بحسب الطبيعة الجديدة (رو ٧: ١٩) .. " لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ.... " (غل ٥: ١٧).

أما فى هذا العدد، فسنرى رمزاً آخر من خلال جبهة أخرى انفتحت على الشعب القديم فى عدة مواجهات حربية.

ما هى هذه الجبهة ؟

إنها " أَقْطَابِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ الْخَمْسَةِ " (اصم ٦ : ٤) ؛ أشدود.. وغزة.. وأشقلون.. وجت.. وعقرون (اصم٦: ١٦، ١٧).

إلام ترمز هذه الأقطاب ؟

ترمز إلى **ناموس ما**.

لماذا ؟

لأن رقم **خمسة** فى الكتاب مرتبط بالناموس.. فتدبير الناموس كان **الخامس** فى ترتيبه بين التدابير السبعة، التى مرت وستمر بها البشرية[١٩].. كما أن موسى متلقى الناموس (يو١: ١٧) كتب **خمسة** أسفار (من التكوين وحتى التثنية).. كذلك وصايا الناموس هى **عشر** (خر٢٠: ١- ١٦، تث١٠: ٤).. **خمس** منها تختص بالله.. و**الخمس** الأخرى تختص بالقريب (أو بالإنسان عموماً).. لذلك فرقم خمسة – فى إحدى دلالاته – هو رقم الناموس [٢٠].

فإن كانت الأقطاب الخمسة ترمز إلى **ناموس ما**، يواجه المؤمن محارباً إياه، فما عساه يكون هذا الناموس ؟.. هل هو ناموس الله ؟.. بالطبع لا.. لأنه ما دام **يحارب** المؤمن، فلن يكون إلا **ناموس الخطية**.. الذى كتب عنه الرسول: " فَإِنِّي أُسَرُّ بِنَامُوسِ اللهِ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ. وَلَكِنِّي أَرَى **نَامُوساً آخَرَ** فِي أَعْضَائِي **يُحَارِبُ** نَامُوسَ ذِهْنِي وَيَسْبِينِي إِلَى **نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ** الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي " (رو٧: ٢٢، ٢٣).

مع ملاحظة أن معارك الشعب القديم كانت معارك جماعية.. بينا معركة المؤمن الروحية فى العهد الجديد مع الخطية الساكنة فى جسده هى معركة شخصية فردية.. لا جماعية.. ولا حتى كنسية(١٥،١).

ونأتى الآن إلى أولى معارك الشعب القديم مع الأقطاب الخمسة.

تمت المواجــهة فى مكان يســـمى " **حجــر المعــونة** " (١صم٤: ١).. " .... وَاصْطَفَّ الْفِلِسْطِينِيُّونَ لِلِقَاءِ إِسْرَائِيلَ، وَاشْتَبَكَتِ الْحَرْبُ فَانْكَسَرَ إِسْرَائِيلُ أَمَامَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ " (١صم٤: ٢).. مع أن المفتــرض فـــى مكـــان اســـمه " **حجـــر المعـــونة** " أن تنهمر المعونة الإلهية على الشعب.. ويتم الانتصار.. لكن حـــدث العكس.

ما السبب ؟

هذا المكان المسمى " **حجر المعونة** " ، لم يكن بهذا الاسم ساعة القتال فى الأصحاح الرابع من صموئيل الأول.. بل سُمى هكذا بعد ذلك فى الأصحاح السابع.. مما يُفهم منه أنهم دخلوا المعركة قبل ذلك (أى فى الأصحاح الرابع) بدون معونة إلهية.. بل بالاعتماد على إمكانياتهم الذاتية.

يؤكد هذا الفكر – وهو انصراف المعونة الإلهية عنهم – أن حالتهم كانت مقترنة بشرور أدبية ؛ ألا وهى اغتصاب حق الله والكهنة فى لحم الذبائح

(١صم٢: ١٢ – ١٧) .. كذلك الزنى مع المجتمعات فى باب خيمة الاجتماع (١صم٢: ٢٢) .

فما كانت حالتهم الأدبية تؤهلهم لنوال المعونة.. ولا هم حزنوا على هذه الحالة.. ولا لجأوا إلى الله نادمين ليعالجهم أولاً قبل دخول الحرب.. من ثم أىُّ معونة تلك التى تُمنح لمريض يحتاج إلى علاج.. لا إلى دخول حرب.. ونوال معونة فيها.

من ثم كانت هزيمتهم أمراً مؤكداً.. فسقط من اشعب " أَرْبَعَةَ آلاَفِ رَجُلٍ " (١صم٤: ٢)

وإن كان لنا أن نُقَنِّن الهزائم بوحدات رقمية ، لقلنا أن هذه الهزيمة كانت بمقدار أربعة آلاف وحدة رقمية.

كان عليهم حينئذ أن يراجعوا أنفسهم .. ويبحثوا عن سبب الهزيمة.. ويكتشفوه.. وينوحوا بسببه.. فيأتيهم الخلاص.

لم يحدث هذا .. إنما فى **مظاهر شكلية – لا حالة قلبية صحيحة** – أخذوا التابوت فى وسطهم – ربما كتعويذة.. لا كمؤشر لحضور الرب – ظناً أن هذا يخلصهم من يد أعدائهم (١صم٤: ٣).

وفى **مظاهرة بروباجاندية** – عند دخول التابوت إلى المحلة – " هَتَفُوا هُتَافاً عَظِيماً حَتَّى ارْتَجَّتِ الأَرْضُ " (١صم ٤: ٥).. كأنما النصر بكثرة الهتاف، أو بقوة الحناجر.. لا بحالة القلب السابقة للهتاف ، كما حدث فى موقعة أريحا (يش ٦ : ٢٠)[٢١].

والدليل أن هتافهم كان هتاف شفتين أجوف لا يرتقون إلى مستواه، هو وجود العشتاروث والآلهة الغريبة فى وسطهم (١صم٧: ٣) .. فكيف يتفق هذا

مع وجود تابوت عهد الرب وسطهم.. وأولى وصايا هذا العهد (تث٩: ٩)؛ " لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي " (خر٢٠: ٣، تث ٥: ٧) ؟

إنه التناقض بين هتاف الشفتين ، وحالة القلب.. لأن " هَذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً " (مر ٧ : ٦ ، إش ٢٩ : ١٣).

وهكذا .. وبهذه الروح دخلوا المعركة للمرة الثانية.. " فَحَارَبَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ، وَانْكَسَرَ إِسْرَائِيلُ وَهَرَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خَيْمَتِهِ. وَكَانَتِ الضَّرْبَةُ عَظِيمَةً جِدّاً. وَسَقَطَ مِنْ إِسْرَائِيلَ ثَلاَثُونَ أَلْفَ رَاجِلٍ. وَأُخِذَ تَابُوتُ اللَّهِ. وَمَاتَ ابْنَا عَالِي حُفْنِي وَفِينْحَاسُ " (١صم٤: ١٠، ١١).

هزيمة أنكى .. بدرجة ثلاثين ألف وحدة رقمية.. بخلاف أخذ التابوت.. وسقوط الكهنة.

ولا أعرف هل عندما كتب الشاعر " **نزار قبانى** " عن أسباب الهزيمة فى الحروب الحرفية بين الجيوش، أنه كان يرمى إلى ما هو أبعد ؛ أى إلى أسباب الهزيمة فى الحروب المعنوية؛ أى مغالبة النفس البشرية (وهى عنده أمَّارة بالسوء).. أم لا ؟.. وذلك فى قوله:

إذا خسرنا الحرب لا غرابة.
لأننا ندخلها
بمنطق الطبلة والربابة
بالعنتريات التى
ما قتلت ذبابة
....
بالناى والمزمار
لا يحدث انتصار

على أن هزائم الشعب المتكررة لم تلمس حالة قلوبهم.. ولا غيرت فكرهم.. فالهتاف ، لا يزال من الحناجر.. والاعتداد ، لا يزال بالقوة الذاتية.. والتمادى ، لا يزال فى تمديد أنفسهم.. فخراً وتيهاً.. حتى أنهم مددوها إلى تابوت عهد الرب.

رفض الأشدوديون – ومثلهم العقرونيون – وجود التابوت عندهم.. ودون الدخول فى التفاصيل.. جمعوا الأقطاب الخمسة.. وأعادوا التابوت إلى إسرائيل.. مدركين – فى اتضاع منهم – بأنهم ليسوا أهلاً لوجود التابوت لديهم .. ومقتنعين – فى فطنة سامية – بأن ما أصابهم من ضربات كان بسبب **مجرد وجود التابوت** عندهم (١صم٥).

أما إسرائيل فلم يكفهم مواجهة الأقطاب **الخمسة** بقوتهم الذاتية بل – تمادياً فى اعتدادهم بإمكانياتهم – نظر منهم من نظر – وهم أهل بيتشمس– إلى التابوت (١صم ٦ : ١٣ ، ١٩).. فهل كانوا يجهلون ما يضمه التابوت فى باطنه ؟.. أم أنها الكبرياء التى تُنبى عن استعدادهم أن يواجهوا التابوت بكل ما يحمله فى باطنه من دلالات.. وكل ما يقتضيه من مطالب ؟

ماذا يخفى التابوت فى باطنه ؟

إنه يحمل – ضمن ما يحمل– لوحى الشريعة الحجريين.. منقوش عليهما بإصبع الله نفسه الوصايا **العشر** (خر ٣٤ : ١).

ها هم ينبرون للرقم **خمسة** مرة ثالثة.. لا فى أقطاب **خمسة** للفلسطينيين.. كما حدث في المرتين السابقتين – فهؤلاء بشر مثلهم .. أمرهم مقدور عليه – بل فى وصايا إلهية **عشر**.. أى **ضعف الرقم خمسة** .. تمثل مطاليب الله القدوس نفسه.. فيا للمواجهة!

وكأنهم – بنظرهم إلى التابوت[٢٢] – يعلنون قدرتهم على تتميم هذه

المطاليب.. وتنفيذ هذه الوصايا.. ولسان حالهم: " كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ " (خر ١٩ : ٨).

لم يكفهم أنهم هتفوا للتابوت من قبل ، فى **ادعاء كاذب**.. لكنهم هذه المرة نظروا إليه ، فى استقواء واهم .. فواجهوا الناموس.. وتذكروه إن كانوا ناسين.. وعليهم به إن كانوا مقصرين .. وإلا فسيكون هذا الناموس نفسه للمدَّعين بالقدرة على تنفيذه شاهداً على فشلهم.. ومسجلاً عجزهم.. وحاسباً عليهم خطيتهم.. لأن " الْخَطِيَّةَ لاَ تُحْسَبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَامُوسٌ " (رو٥: ١٣).. وها هو الناموس موجوداً فى وسطهم (يش ٦ : ٤) .. وتحت أبصارهم.. فى معاينة نافية للجهالة.

ولما كان الإنسان **عامة** عاجزاً أمام الناموس " فِي مَا كَانَ ضَعِيفاً بِالْجَسَدِ " (رو٨: ٣).. ولما كانت الآلهة الغريبة فى وسط الشعب **خاصة** هى الدليل الدامغ على عجزهم أمام مطاليب الناموس.. لذلك – وقد ثبت فشلهم أمام الناموس – فقد سقط هذه المرة من أهل بيت شمس – أولئك الذين نظروا إلى التابوت – خمسون ألف وسبعون رجلاً (١صم ٦ : ١٩) .

انكسار يفوق الأولين.. وهزيمة تبزُّ سابقتيها .. إذ كانت بالقياس خمسين ألف وسبعين وحدة رقمية.. والسبب فى ذلك هو تصديهم للناموس.. بالنظر إلى التابوت حسب الظاهر .. فيما يعنى الادعاء بالقدرة على تنفيذ الناموس فى حقيقة الأمر.

إلام يشير هذا ؟

إنه يشير إلى مؤمن العهد الجديد المجتاز فى صراع (رومية٧).

ومع أن المؤمن فى هذا الصراع ، هو فى حالة أفضل من الشعب القديم وقتها.. فهو يدرك عجزه، وهم يجهلون.. وهو يقرُّ بهزيمته، وهم يكابرون.. وهو يشقى لسببها (رو٧: ٢٣، ٢٤)، وهم يهتفون .. إلا أنه يشترك معهم فى أمر

واحد ؛ ألا وهو التصدى لناموس الله المتمثل فى عشر وصايا (**خمس مضاعفة**) لينفذها.. هى أو أى ناموس آخر للعيشة بالقداسة.

إنه والحال هكذا قد وضع نفسه فى ركن خطير.

كيف ؟.. أتضع الرغبة فى القداسة، والعيشة بالبر العملى، صاحبها فى ركن خطير ؟

الخطورة ليست فى الرغبة المقدسة .. بل فى الأسلوب الناموسى لتحقيق هذه الرغبة.

إنى إذا تصديت للناموس – ناموس الله– لكى أنفذه ناموسياً، فقد **اعتبرت نفسى حيَّـاً فى الجسد**.. لأن " **النَّامُوسَ يَسُودُ عَلَى الإِنْسَانِ مَا دَامَ حَيّاً** " (رو٧: ١).

وما دمت **حيَّـاً** فعلىَّ بجميع النواميس لأواجهها.. روحية كانت .. أم حرفية.. أم رسمية.

فالشخص **الحىَّ** ملتزم بناموس (قانون) الضرائب مثلاً.. كذلك ناموس (قانون) المرور.. وهلم جرا.

فإن كان خضوعى للنواميس الرسمية واجب يحتمه على الكتاب المقدس (رو١٣: ٧) .. إلا أن الأمر يختلف من الناحية الروحية.

إنى إن رمت الخضوع لناموس الله – باعتبارى **حيًّا** فى الجسد – فعلى بناموس آخر أواجهه ؛ ألا وهو **ناموس الخطية الكائن فى أعضائى**.. لا لشئ إلا لكونى معتبراً نفسى **حيًّا** فى الجسد.

ولما كان ناموس الخطية الكائن فىَّ أقوى منى.. ولما كان ناموس الله أسمى من إمكانياتى الذاتية .. لذلك فإنى – معتبراً نفسى **حيًّا** فى الجسد– أمام

ناموس الخطية فاشل ومهزوم.. وأمام ناموس الله عاجز ومغلوب .. وأمام أى ناموس روحى آخر أضعه لنفسى بائس ومقهور.

إنها الخانة الخاطئة التى أحشر نفسى فيها.. خانة الرقم الخطير **خمسة**.. عنوان كل ناموس.. ناموس الله .. وعنوان أقطاب الفلسطينيين.. وعنوان ناموس الخطية الكائن فى أعضائى.. وعنوان أى ناموس روحى آخر أختاره.

والأكثر خطورة هو اندفاعى- ولو بحسن نية- لكى انبرى – حيًّا فى الجسد – لهذه النواميس .. واضعاً نفسى تحتها.. رامياً تنفيذها بمجهودى الذاتى.. الأمر الذى يؤدى إلى هزيمتى المفجعة.

إذاً .. ما هو أسلوب الانتصار الصحيح ؟

الانتصار وأسلوبه

نعود إلى الشعب القديم.. وإلى النبى صموئيل. لقد عرف هذا النبى الملهم- بالروح القدس- طريق الانتصار.. وكان طريقاً يتعارض مع الفكر البشرى .. ومع المنطق الطبيعى للحروب.

وكما سبقت الإشارة، فإن الفكر العسكرى فى الحروب عامة هو ؛ التسليح الجيد.. والتدريب المتواصل.. ومتى دارت الحرب، فإن من جدَّ وجد.. ومن جاهد انتصر.. وهو فكر صحيح فى كل الحروب العسكرية.. والروحية أيضاً.. **ما عدا هذه الحرب الروحية مع ناموس الخطية الكائن فى أعضائى**.. أو أى ناموس آخر.. لأننى الأضعف.. كما رأينا.

وهذا ما كان يدركه النبى صموئيل.. وأخيراً أدركه الشعب.. لقد " نَاحَ الشَّعْبُ " (١صم ٦ : ١٩ ، ٧ : ٣) .. بدلاً من الهتاف العنترى.. وأدرك أهل بيتشمس أنهم ما كان يحق لهم النظر إلى التابوت بكبرياء قلب.. إذ هم عاجزون عن التصدى للناموس المقدس داخله .. وقالوا: " مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَقِفَ أَمَامَ الرَّبِّ الإِلهِ الْقُدُّوسِ " (١ صم ٦ : ٢٠).

فماذا فعل النبى والشعب تحت قيادته ؟

" فَاجْتَمَعُوا إِلَى الْمِصْفَاةِ وَاسْتَقُوا مَاءً وَسَكَبُوهُ أَمَامَ الرَّبِّ....وَبَيْنَمَا كَانَ صَمُوئِيلُ يُصْعِدُ الْمُحْرَقَةَ تَقَدَّمَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ .... فَأَرْعَدَ الرَّبُّ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَأَزْعَجَهُمْ، **فَانْكَسَرُوا أَمَامَ إِسْرَائِيلَ** " (١صم ٧: ٦- ١١).

عجيب!

هل نأتى إذاً بماء- إذا أردنا الانتصار- ونسكبه أمام الرب، حتى يتحقق لنا النصر فى حربنا الروحية ضد الطبيعة العاصية التى فينا ؟

كلا طبعاً.. فهذا رمز.. لكننا نطبق ما يرمز إليه سكب الماء على الأرض أمام الرب.

إلامَ يرمز ؟

الماء مصدر الحياة (٢بط٣:٥) .. **وسكبه على الأرض يشير للموت..** كقول سيدنا بالنبوة ساعة صلبه: " كَالْمَاءِ انْسَكَبْتُ " (مز٢٢: ١٤) .. وككلمات الرسول بولس الأخيرة قبل إعدامه: " فَإِنِّي أَنَا الآنَ أُسْكَبُ سَكِيباً، وَوَقْتُ انْحِلاَلِي قَدْ حَضَرَ " (٢ تى ٤: ٦) ..وكالسكيب الذى كان يسكب على بعض الذبائح قديما بعد ذبحها (خر٢٩: ٣٩-٤١).

وسكب الماء أمام الرب يعنى الانبطاح أمامه فى اعتراف **بالعجز إلى درجة الموت** – مع **الصوم إن لزم الأمر**–[٢٣].. وإقرار بأنه لا نفع يُرجى من اعتبار نفسى **حيّاً** فى مواجهة أىّ ناموس .. وكل ناموس.. ناموس الأقطاب الخمسة، وما يرمز إليه ؛ أى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى.. أو ناموس الوصايا العشر، وما يتطلبه.. وأى ناموس مضى.. أو ناموس يجدُّ.. وصرت فى عجزى مثل الماء المسكوب الذى انتهى أمره.. فلا هو يعود ولا هو يُجمع.

هذا عن الماء المسكوب.. فماذا عن المحرقة ؟

إن كفايتها تنبسط كمظلة تغطى الإنسان وعجزه فى نظر الله – شرعياً– كما وتملأ فراغ الماء المسكوب لدى الشخص المنسكب–عملياً– ليرد الرب على هذا المصلى المنبطح أمامه خالى الوفاض.. مفرَّغا من ذاته ... قائلاً له: ما دمت قد فرغت من ذاتك ، كفراغ الإناء من الماء المسكوب..واعترفت **بعجزك؛ عجز الأموات**..وتخليت عن اعتدادك بإمكانياتك الذاتية، ومجهوداتك الشخصية..وعن اعتبار نفسك حياً وقادراً..**وانتهيت** من هذا كله.. **فنهايتك هى بدايتى.. وموتك فى ذاتك هو فرصتى لملء فراغك .. وإمدادك بقوة الحياة..**ها قد وانتك نجدتى.. وفى

مَعِيَّتِها الانتصار المرتقب .. والذى لم تكن لتصل إليه إلا بهذا الأسلوب.. وهاك ناموس جديد ؛ هو **ناموس روح الحياة** .. وهو الناموس **الوحيد** الذى يصلح للتعامل مع العاجزين إلى درجة الموت.. **فيمدهم بقوة الحياة فى المسيح يسوع..** القادرة وحدها على التصدى لناموس الخطية والموت.. والانتصار عليه.

وعن قوة الحياة هذه يكتب الفاضل الأخ "متى بهنام": ﴿ إنه فكر لا يصدقه العقل البشرى ، وهو أن لنا **نفس القوة** التى ظهرت فى إقامة المسيح من الأموات .... إن **مقياس** القوة التى لحسابك أيها المؤمن هو ذات **مقياس** القوة التى عملت فى المسيح إذ أقامته من القبر وأجلسته عن يمين الله فى السماويات " (أف ١ : ١٩ ، ٢٠) ﴾ .. نَعَمْ القوة التى رفعت السيد من القبر إلى المجد هى نفسها القوة التى ترفع المؤمن من حضيض الهزيمة إلى قمة الانتصار.. فيا للقوة!!

وهكذا انتصر الشعب بهذا الأسلوب فقط.. فى رمز محكم لانتصار المؤمن على الخطية الساكنة فى جسده.

هنا – وهنا فقط – " أَخَذَ صَمُوئِيلُ حَجَراً وَنَصَبَهُ بَيْنَ الْمِصْفَاةِ وَالسِّنِّ، وَدَعَا اسْمَهُ «حَجَرَ الْمَعُـونَةِ» وَقَالَ: إِلَى هُنَا أَعَانَنَا الرَّبُّ " (١ صم ٧: ١٢).

لا معونة إذاً مقدمة بصفة عامة، كما ولا معونة مقدمة بصفة خاصة فى صراعنا المذكور مع الجسد قبل الإقرار بالموت.. واستفراغ كل الإمكانيات الذاتية.. لتقدم إلىَّ بعدها وبسعة – وتحت مظلة المحرقة وكفايتها – المعونة المتمثلة فى ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع باعثاً فىَّ – لا كحىٍّ بل كميت فى الجسد– قوة الحياة القادرة على التغلب على ناموس الخطية الكائن فى أعضائى.. فيتم فىَّ المكتوب " بِالرُّوحِ (وليس بالجسد) تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ " (رو٨: ١٤).. وأيضاً: " نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ وَالْمَوْتِ " (رو ٨ : ٢).

هذا ومن المستحيل الجمع بين ناموس الله ، وناموس روح الحياة فى المسيح يسوع.. لأضع نفسى تحت كليهما معاً.. فالأول يتعامل مع **الأحياء مطالباً**.. والثانى يتعامل مع **الأموات واهباً**.. **ففى أى مربع أقف** ؟ .. هل أعتبر نفسى حيّاً **فى الجسد** وأجاهد ناموسياً لتنفيذ الناموس ؛ ناموس الله.. أو أى مبادئ روحية أخرى.. والنتيجة هى الانهزام أمام جميع النواميس والمبادئ.. أم **ميتاً فى ذاتى** طالباً الغوث ممن يبعث فى كيانى قوة الحياة.. فأنتصر بها على ناموس الخطية.. وأتمم بها ناموس الله.. بل ما هو أسمى من مطاليبه (مت ٦ : ٢١ ، ٢٢).

هذا هو السؤال ؛ **فى أى مربع أقف** ؟

أما أن أسأل **أنـــا** ؛ كيف أجاهد **أنـــا** جهاداً صحيحاً وفعالاً ضد الخطية الساكنة فيَّ؟. وكيف يؤدى جهادى **أنـــا** هذا إلى الانتصار ؟. وكيف **أنـــا** ؟ .. ولماذا **أنـــا** ؟. وماذا أعمل **أنـــا** ؟. إلى آخر هذه التساؤلات التى تدور حول إمكانياتى **أنـــا**..فهى دليل على اعتبار نفسى **أنـــا** حياً فى الجسد.. من ثم دوراني فى حلقة مفرغة.. ولا نتيجة تُرجى من وراء هذا سوى الهزيمة والانكسار.

ليفتح الرب أذهاننا لندرك هذا الحق.. فنختصر الطريق إلى الانتصار بقوة **ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع.... كأموات فى ذواتنا.. لا كأحياء فى الجسد.**

أيـــــضاً بــــــه روح الحيـــــاة
اعتقنــــــا نحــــن العبيـــــد

كـــــى نحيــــا بالقداســــــة
حـــسب مقامنــــا الجديـــــد

وطالمـــــا نحـــــن هنـــــا نطلـــــب عونـــــاً ومـــــدد
والــــروح فينـــــا وبــــه نميـــــت أعمـــــال الحـــــسد

كل هذا عن الطبيعة القديمة العاصية.. والانتصار عليها.. والمشبهة فى قصتنا بـــ " عباس ".. فماذا عن " سلطان " ؟

التعامل مع سلطان

التعامل مع " سلطان " قبل الزواج يختلف عنه بعد الزواج.

فقبل الزواج هو محبوس وغير مسموح له - كتابياً - بالخروج من قفصه.. بينما بعد الزواج هو حر.. ولكن في حدود.

ونبدأ في هذا الفصل بالموقف منه قبل الزواج.. لكي نرى أنه وإن كان يجب حبسه ، فلن يكون ذلك عن طريق الكبت.. مما يجعله - أو صاحبه - يتحرق (١كو٧ : ٩) .. بل يتم ذلك تلقائياً بكل سلاسة ويسر.. عن طريق اتباع أسلوب روحى به تهدأ ثائرة " سلطان ".. لحين إطلاق سراحه بالزواج.. أو بصفة دائمة بدون زواج.

وإن كنا قد رأينا أن الخطية **تولد فكرياً**.. على اعتبار أن مصادقة الإرادة على تنفيذ مطالب الشهوة هو **ميلاد** للخطية.. فبنفس القياس نجد أن العيشة بالقداسة وخوف الرب هى عملية **فكرية** فى بدايتها.

إن الأكل من رأس خروف الفصح قديماً يُذكر قبل الأكل من أكارعه ؛ " وَيَأْكُلُونَ .... رَأْسَهُ مَعَ أَكَارِعِهِ وَجَوْفِهِ " (خر١٢: ٨، ٩).. فيما يشير إلى أن التغذى بفكر المسيح، حتى يكون فينا هذا الفكر (فى٢ : ٥) ، يسبق التغذى بسلوكه، حتى نتبع آثار خطواته (١بط٥ : ٢١).. فالفكر المؤدى لاتخاذ القرار يسبق دائماً خطوات التنفيذ العملية لهذا القرار.

لذلك نقرأ عن دانيال - **قبل أى شئ** - " **فَجَعَلَ فِي قَلْبِهِ** أَنَّهُ لاَ يَتَنَجَّسُ بِأَطَايِبِ الْمَلِكِ وَلاَ بِخَمْرِ مَشْرُوبِهِ " (دا١: ٨).

اتخذ دانيال قراره هذا أولاً.. فتلته متداعية خطوات التنفيذ الصحيحة.

ومثله يوسف ؛ اتخذ نفس القرار أولاً.. أى المنهج الفكرى بألا يتنجس .. كيف نعلم؟.. من رده على امرأة فوطيفار " .... سيدى لَمْ يُمْسِكْ عَنِّي شَيْئاً غَيْرَكَ لأَنَّكِ امْرَأَتُهُ " (تك٣٩: ٩) .. وفيه نرى أنه **قد سبق أن وقر فى ضميره** أن زوجة غيره لا تحل له.. وعندما أضاف: " .... كَيْفَ أَصْنَعُ هَذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ " (تك ٣٩: ٩)، نعلم أنه **قد سبق أن وقر أيضاً فى ضميره** أن مثل هذا الخطأ هو شر عظيم.. وأنه موجه إلى الله.. فلا يجب فعله.. وعليه **فقرار مخافة الرب** – مع حيثياته – لم يكن جديداً لديه.. بل كان مخزوناً فى إنسانه الباطن.

وعن هذا القرار المسبق يكتب قداسة " **البابا شنودة الثالث** " .. على لسان يوسف .. مخاطباً زوجة فوطيفار:

هــوذا الثــوب خذيـــه	إن قلبـــى لـــيس فيـــه
هــو مــن مالــك أنــت	لـــــك أن تـــــسترجعيه
فــإذا شـــئت خذيـــه	وإذا شــــئت اتركيـــــه
إنما قلبـــى لقــد قــررتُ	ألا تدخليـــــــــــــــه

وهى قرارات معاكسة تماماً لما اتخذه " الدكتور " من قرار بفـتح بـاب القفص " لسلطان "، أو القرار الذى اتخذه " جيمس " بالذهاب لملاقاة الغزال.

هذا وقد سبق أن رأينا أنه حتى اتخاذ هذا القرار إنما يأتى نتيجـة أن "الله هو العامل فينا **أن نريد**...." (فى٢: ١٣).

القرار الصحيح إذاً هو **الخطوة الأولى** من خطوات التعامل مع " سلطان "، أو غيره من الغرائز الأخرى.. وجدير بالذكر أنه لا يمكن تنفيذ هذا القـرار .. أو غيره من الخطوات التى سنأتى إلى ذكرها، إلا بعد علاج مشكلة " عبـاس " أولاً، كما سبق ورأينا.. فكل المحاولات والاجتهادات الروحية والنسكية وخلافـه، قبـل ذلك، هى حرث فى الماء.. تحجيم " عباس " **هو الأساس** الذى يسبق – والذى تُبنى

عليه – جميع الخطوات بعد ذلك.

إن المجاهد فى (رومية٧) لم تكن تنقصه الإرادة الحاضرة (رو٧: ١٨) المؤدية إلى اتخاذ القرار الصحيح.. لكنه فشل صارخاً: " وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ ؟ " (رو٧: ٢٤).. لقد فشل فى علاج مشكلة الجسد (كما سبق شرحه).. من ثم راحت إرادته الحاضر .. وقراره الصحيح – إن كان قد اتخذه – أدراج الرياح.. وظل " عباس " يطل برأسه.. مبدداً كل قرار وإرادة له.. ومهدراً كل جهاده ومجهوداته.

أما إن عولجت مشكلة " عباس " أولاً.. وتم تحجيمه بواسطة " الصول عبد الحى " .. وأمسى فى عداد الموتى.. لا صوت له، ولا حركة.. ولا وثوب له بين الحين والآخر .. " لينط " لدى الدكتور محرّضاً إياه – فيما يشير إلى وضع الجسد (الطبيعة القديمة) فى حكم الموت أولاً، والعتق من ناموسه ، بواسطة ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع – بات من الممكن بعد ذلك ، بل من السهل جداً اتخاذ الخطوات الروحية للتعامل الصحيح مع " سلطان " .

أولى هذه الخطوات هى اتخاذ القرار – بمعونة الرب– بألا أتنجس.

ومثل هذه القرارات تشكل **منهجاً فكرياً** يسيطر على المؤمن .. وتكون بمثابة **إطار** تدور داخله جميع تصرفاته العملية ذات الصلة بهذه القرارات.

فهذا رسولنا الكارز بولس يكتب إلى أهل كورنثوس: " لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئاً بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوباً " (١كو٢: ٢).. هنا نرى القرار الذى اتخذه .. أو **المنهج** الذى عزم على اتّباعه .. أو **الإطار** الذى أحاط بتصرفاته.. وكلماته.. ورسالته.. وكرازته بينهم.. إنه **فقط** " **يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوباً** " .. وفيما عدا ذلك من " حكمة كلام " (١كو١: ١٧) .. وفلسفة .. وجدل .. ومباحثات.. فهو مرفوض منه.. لأنه خارج هذا الإطار.. هكذا

، وعلى نفس القياس ، قرار العيشة بالقداسة.

أما ثانى هذه الخطوات فهى الهروب.. وفى هذا يكتب الرسول لابنه الروحى تيموثاوس: " أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا " (٢تى٢: ٢٢).

هذا الهروب يكون من كل ما يثير الشهوة بالنظر.. أو السمع .. أو بما هو أكثر ؛ كما حدث مع يوسف.. مع ملاحظة أن الاستثارة مسألة نسبية.. فالبعض بطئ الاستثارة .. والآخر يثيره حتى منظر تمثال خشبى لامرأة فى فاترينة أحد المحلات .

عودة إلى يوسف.. لنجد أن امرأة فوطيفار قد أمسكته بعد محاولات عديدة منها " يوماً فيوماً " (تك٣٩: ١٠) لكى يخطئ معها.. وهو العبد المشترى بالمال.. الذى لا حول له أمام أوامر سيدته.

إنها الخطية معروضة عليه بكل يسر.. ومحيطة به بكل سهولة (عب١٢: ١) .. ومهاجمة إياه بكل شراسة.

لكنه كان قد سبق له الانتهاء من إمكانياته الذاتية.. وكيف لا ، لمن اجتاز ملحمة أليمة مثله ؟.. لقد وصل اختبارياً إلى ما فعله صموئيل والشعب.. إذ صار – بسبب معاناته – **مثل الماء المسكوب..** من ثم كانت معونة الرب حاضرة له.. فقد " كان الرب معه " (تك٣٩: ٢).. هذا هو **الأساس** ..وقد بُنى عليه قراره ، كخطوة أولى .

فلما جاءت اللحظة الحرجة، كان **الهروب** – كخطوة ثانية – هو النتيجة الطبيعة التلقائية للخطوة الأولى.. دون تغصب.. أو كبت.. أو تحرُّق.. لأن هذا **الهروب** يجئ تنفيذاً عفوياً لقرار واقر ومتربع فى الضمير.. " فَأَمْسَكَتْهُ بِثَوْبِهِ .... فَتَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ " (تك٣٩: ١٢).

لا نجد هنا أثراً " لعباس " – مع وجوده – ولا نسمع صوتاً ولو هامسا

" لسلطان " – مع عنفوان قوته لدى شاب مثل يوسف.

ذلك لأنها الخطوات الروحية .. المتتابعة.. والسلسة .. والمريحة.. والمؤدية إلى النتيجة المرجوة من العيشة بالقداسة والطهارة.

والرب يقول: " نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ " (فى عدد ٣٠ من مت١١).. ولكن لمن ؟.. لمن كان لديه الأساس.. أى لمن سبق أن فرغ من ذاته.. وقدراته .. وتعلم من سيده " **تواضع القلب** " (فى عدد ٢٩ من مت١١).. وأضحى **ماء مسكوباً** أمامه.. ميتاً فى ذاته.. ولكن مختبراً قوة القيامة بواسطة ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع.. وقتها يكون **اتخاذ القرار سهلاً.. والهروب أمراً هيناً.**

وعلى العكس من يوسف نقرأ أنه " كَانَ لأَبْشَالُومَ بْنِ دَاوُدَ أُخْتٌ جَمِيلَةٌ اسْمُهَا ثَامَارُ، فَأَحَبَّهَا أَمْنُونُ بْنُ دَاوُدَ. وَأُحْصِرَ أَمْنُونُ لِلسُّقْمِ مِنْ أَجْلِ ثَامَارَ أُخْتِهِ.... " (٢صم١٣: ٢).

إلى هنا نرى " سلطان " محبوساً.. ولكن مكبوتاً.. إذ مرض أمنون محصوراً بالسقم (٢صم١٣: ١٢).. والنتيجة فى النهاية أنه " .... أمسكها .... وتَمَكَّنَ مِنْهَا وَقَهَرَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا " (٢صم١٣: ١١-١٤).. **فلا نتيجة للكبت إلا الانفجار.**

واحد تمسكه المرأة فيهرب منها.. والثانى يمسكها .. ويتمكن منها ..و.. إلخ.. مع أن " سلطان " واحد عند الاثنين .. و " عباس " واحد.. لكن الأساس غير واحد.. والمنهج غير واحد.. فجاء التنفيذ (أو السلوك) مختلفاً متبايناً.

أما الخطوة الثالثة: فإلام يكون الهروب ؟

يستكمل الرسول عبارته الداعية إلى الهروب بالقول: " وَاتْبَعِ الْبِرَّ وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالسَّلاَمَ.... " (٢تى٢:٢٢).. فالهروب لا يكون إلى فراغ.. بل إلى ما هو إيجابى.. وهل هناك شئ إيجابى أكثر من التعامل بالبر.. والعيشة بالإيمان..

وتمكين المحبة.. والسعى بالسلام؟ .. وكل واحدة من هذه تحتاج إلى صفحات ، أو كتب بأكملها للتأمل فيها.

ويبقى السؤال: مع من يتم اتباع هذه ؟.. الإجابة؛ " مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ " (٢تي٢: ٢٢).. وهذا يأتى بنا إلى:

الخطوة الرابعة: وهى المعاشرات.

إن اتباع البر والإيمان والمحبة والسلام **مع الذين يدعون الرب من قلب نقى**، بالإضافة إلى أنه يوصل شركة المحبة بين القديسين، فهو أيضاً أحد وسائط النعمة الحافظة للمؤمن من السقوط .. أو من الفتور.

ذلك لأنه " هُوَذَا مَا أَحْسَنَ وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَسْكُنَ الإِخْوَةُ مَعاً! مِثْلُ الدُّهْنِ الطَّيِّبِ عَلَى الرَّأْسِ النَّازِلِ عَلَى اللِّحْيَةِ لِحْيَةِ هَارُونَ النَّازِلِ إِلَى طَرَفِ ثِيَابِهِ " (مز١٣٣: ١، ٢).

فإن كان الدهن الطيب يشير إلى كمالات المسيح – فى حياته.. وفى آلامه.. وفى موته على الصليب[٢٤]– مهراقة كالدهن.. ونازلة بواسطة الروح القدس من المسيح؛ رأس الجسد ..مرموزاً إليه برأس هرون .. إلى الجسد كله؛ أى الكنيسة.. فإن طرف الثياب التى يطالها هذا الدهن ليست إلا مؤمناً فى نهاية الصف.. روحياً.. أو نفسياً..أو اجتماعياً أو غير ذلك.. مهمَّشاً من الآخرين.. أو مهمِّشاً نفسه، إحساساً منه بصغر النفس والدونية.

هذا المؤمن الطرفى (نسبة إلى طرف الثياب) ، إن دخل فى شركة روحية مع المؤمنين.. أو حضر اجتماعاً روحياً، بأُذنٍ مفتوحة (رؤ٢:٧).. لابد أن ينال شيئاً من البركة المرموز إليها بالدهن الطيب.. مهما كانت حالته.. وحتماً سيرتفع من قاصية الثياب السفلية إلى ذروة أعلى.. بدرجة أو بأخرى.. لماذا ؟.. لأنه هناك حيث يسكن الإخوة معاً " **أَمَرَ الرَّبُّ بِالْبَرَكَةِ** حَيَاةٍ إِلَى

الأَبَدِ " (مز١٢٣: ٣).

وعلى العكس .. فإن" **الْمُعَاشَرَاتِ الرَّدِيَّةَ تُفْسِدُ الأَخْلاَقَ الْجَيِّدَةَ** " (اكو١٥: ٣٣).

وكم من مهاوٍ انزلق إليها شباب.. وانحدروا إلى هوى سحيقة.. بسبب المعاشرات الردية.

الخطوة الخامسة: هى ممارسة الأنشطة الروحية.. وعلى رأسها خدمة الرب.

إن الانشغال بخدمة الرب.. **حباً له**.. والاهتمام بالنفوس التى مات المسيح من أجلها.. **حباً لها**.. والسعى لتوصيل البشارة إليها.. ومتابعة ثباتها ونموها.. وتقديم" اللَّبَنَ الْعَقْلِيَّ الْعَدِيمَ الْغِشِّ " لها (ابط٢ :٢).. مما يتطلب سهر الخادم – أو المؤمن عامة – على نفسه أولاً، ليلاحظ نفسه والتعليم (اتى٤: ١٦).. واعتكافه على دراسة الكلمة واستيعاب الحق لبنيان نفسه، والذين يسمعونه.. ثم سهره على رعية الله بعد ذلك.. إلى آخر مجالات الخدمة .. التى تصل – في أقل نوعياتها– إلى خدمة الأعوان (اكو١٢: ٢٨).. وهم الأشخاص الذين يقدمون مساعدات خدمية بسيطة ، غير خدمة الكلمة.. لكنها تسهم فى خدمة الكلمة.." **كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ** مَا أَخَذَ مَوْهِبَةً " (ابط٤ :١٠).. هذا الانشغال يحاوط المؤمن.. ويحصر فكره فيما هو للبنيان.. ويملأ فراغ وقته.. إن كان هناك فراغ.. فلا يكون لديه متسع بعد ذلك، يجد العدو من خلاله ثغرة ينفذ منها إليه.

لقد كان داود يتمشى على السطح (٢صم١١: ٢).. فهل التمشي خطية ؟.. كلا طبعاً.. أستطيع أن أتمشى وذهنى مشغول بما سبق (كخطوة خامسة.. بعد اتباعي الأربع خطوات المذكورة) .. ومتفكر فى " كُلُّ مَا هُوَ حَقٌّ، كُلُّ مَا هُوَ جَلِيلٌ، كُلُّ مَا هُوَ عَادِلٌ، كُلُّ مَا هُوَ طَاهِرٌ، كُلُّ مَا هُوَ مُسِرٌّ كل كُلُّ مَا

صِيتُهُ حَسَنٌ " (في٤: ٨) .. فأمر على " ميمون " .. أو يمر هو عليّ.. ولا أتأثر.. وربما لا أشعر بوجوده أساساً.

أما أن يتمشى داود وهو غير منشغل بمثل هذه الإيجابيات- إذ كان الشعب يحارب على الجبهة (٢صم٢: ١)، بينما هو **يتمشى علي السطح**.. غير مبال بالحرب ولا بالشعب – فهذا ما ساعد على سقوطه.. لذلك فبمجرد أن رآها – ولم تكن قرداً مثل " ميمون " بل كانت غزالاً جميلاً جداً (٢صم١١: ٢) – صنع " تدبيراً (رهيباً) للجسد لأجل الشهوات " (٢صم١١، رو١٣: ١٤).. فوُلدتَ الخطية.. وكملت.. وأثمرت موتا.. إذ مات الولد (٢صم ١٢ : ١٨) ..و" لم يُفَارِقُ السَّيْفُ بَيْتَه " .. وإلى الأبد (٢صم ١٢: ١٠).

وما يقال عن الانشغال بالايجابيات الروحية يقال أيضا عن الانشغال بالايجابيات الزمنية النافعة.. مثل الانشغال في العمل ولكن بهدوء (٢تس٣: ١٢) ، أى بدون ارتباك.. أو الانهماك فى المذاكرة، ولكن بدون قلق.. أو الاندراج فى مجال الرياضة والموسيقى أو غيرها من الأنشطة .. وهى نافعة .. حتى ولو كانت إلى قليل (١تى٤: ٨).

هذه المشغوليات النافعة ، بالإضافة لكونها تملأ الفراغ إن وُجد.. إلا أنها أيضاً تمتص الطاقة الزائدة بما فيها طاقة " سلطان " .. فيما يسميه البعض **بالتسامى**.

أما الخطوة السادسة:

وهى الخيط الذهبى الذى يتخلل كل هذه الخطوات ؛ **فهى الشركة المستمرة مع الرب**.. والشبع به.. والاكتفاء به نصيباً صالحاً (لو ١٠ : ٤٢) .. يغنينا عن كل نصيب فى السماء أو على الأرض (مز٧٣ :٢٥).. وطلب حفظنا فى خط مشيئته.. وضمن خطته التى رسمها لكل منا فى حياته.. ملتمسين وجهه يسير

أمامنا (خر٣٣: ١٤).. ويده الصالحة تعمل معنا.

.. وهكذا عاش يوسف فى أسره.. ودانيال فى سبيه .. وغيرهما فى أسوأ الظروف الخارجية.. ولكن فى أسمى المستويات الروحية؛ ألا وهو مستوى الشركة العميقة ، والمتزايدة مع الرب.

هذه الشركة تحفظ صاحبها فى **مخافة الرب** ؛ أى **التقـوى** .. وإن كانـت الشركة تتزايد مع الوقت.. فكذلك التقوى.. إذ نجد أنها عملية تدريجيـة .. يكتـب عنها الرسول لابنه – روحياً – تيموثاوس " **رَوِّضْ نَفْسَكَ لِلتَّقْـوَى** " (١تـى ٣ : ٧).. أى **روضها تدريجياً** على قياس الترويض للرياضة الجسدية (١تى ٣ : ٨) .. ويكتب: " أَنَا أَيْضاً أُدَرِّبُ نَفْسِي لِيَكُونَ لِي دَائِماً ضَمِيرٌ بِلاَ عَثْرَةٍ مِنْ نَحْـوِ اللهِ وَالنَّاسِ " (أع ٢٤ : ١٦).

إنه التدريب التدريجى الذى يصل بصاحبه إلى مستويات عميقة من مخافة الرب والشركة معه والعلاقة القوية به.

على أن الهروب والتسامى والترويض ..و..و..إلخ. لا يجدى، كما سبقت الإشارة، قبل حل مشكلة " عباس " أى الجسد أولاً.

لم نتطرق إلا إلى القليل من النصائح – ودون تفـصيلات – بخـصوص التعامل الصحيح مع " سلطان " حيث أن كتباً كثيرة قد ضاقت صفحاتها بمثل هـذه النصائح وغيرها .. ويمكن الرجوع إليها.. إلا أن هدفنا من هـذه العجالـة هـو توضيح الفرق بين " عباس " ، و " سلطان " .. وأن المعضلة الكبرى هـى فـى " عباس " لا فى " سلطان " .

فإن انتهينا من مشكلة " عباس " .. ثم مشكلة حبس " سـلطان " هادئـاً.. ولكن بطريقة روحية .. دون كبت.. أو تحرُّق.. وربما أيضاً دون زئير.. فمـاذا عن احتياجاته الفسيولوجية خلال فترة حبسه ؟

إلى أن يأتى الوقت الذى فيه يطلق سراحه بالزواج (أو إن ظل محبوساً ، بلا زواج) .. لا يبقى أمامه متنفس يقضى به حاجته الفسيولوجية إلا عن طريق الأحلام.. إذ لا تثريب على الدكتور " رائد " إن حلم بإصدار الأمر بفتح باب القفص " لسلطان " .. دون أن يخرج .. أو حتى إن حلم بخروجه من القفص.. واصطياده غزالاً .. أو افتراسه قرداً.

ذلك لأن إرادة " الدكتور رائد " منعدمة أثناء نومه.. من ثم لا خطية تكون قد وُلدت.. ولا ذنب يمكن أن يحتسب إن خرج " سلطان " من محبسه أثناء الأحلام.

من ثم لا ملامة على الأحلام .. أو ما يصاحبها.. ففسيولوجيا اللحم والدم شئ..والإرادة العاصية شئ آخر.. كما سبق الإيضاح.

نكتفى بهذا القدر من جهة التعامل مع " سلطان " قبل الزواج.. لنتناول موضوع الحب.

الحــــــــب

وماذا عن الحب ؟.. سؤال يشغل فكر الكثير من الشباب من الجنسين.

إلا أن هناك سؤال يسبقه ؛ عن ماهية الحب.

ليس الحب فقط هو ما تضج به الصفحات والكتب والقصص والروايات والأفلام .. إلخ.. وتحصره فقط بين رجل وامرأة.. بل هو أشمل من ذلك.

وحتى نقف على هذا ، نرجع إلى " عروس النيل " .. تلك التي تقول الأسطورة أنهم قديماً كانوا يلقونها إلى النهر كل سنة.. جلباً للفيضان والخير.. ويقولون أن الفتيات كن يتسابقن للفوز بهذا الشرف .. وأن من كانت تلقى إلى النهر كانت تفعل ذلك طواعية وحباً.. وعن هذا الحب يكتب الشاعر " أحمد شوقى " :

ألقت إليه بنفسها ونفيسها   أأعز من هذين شئ ينفق ؟

لا أثر " لسلطان " أو رغباته ههنا.. بل حباً من الفتاة للنهر كانت تفعل ذلك.. كما ورغبة منها فى بلوغ مجد وطنى، يضيف " شوقى " مشيراً إليه:

والمجد عند الفتيات رغيبة   يُبغى كما يُبغى الجمال ويُعشق

حب للنهر.. وعشق للمجد.. إلى درجة التضحية بالحياة.. بعيداً عن كل رغبة " لسلطان " .. إلا أنها أسطورة تحلق فوق أرض الواقع المعاش من الناس.

هذا الحب الأسطورى الخالى من الرغبات الجنسية له أساس.. وهو أن عاطفة الحب هذه هى عاطفة طبيعية أعطاها الله للإنسان وقت خلقه ضمن العطايا الصالحة النازلة من فوق .. من عند أبى الأنوار (يع ١ : ١٧).

وإن كان الحيوان ينقاد إلى غريزته فقط دون تمييز.. إلا أن الإنسان قد

اختصه الله بعاطفة للحب مستقلة عن الغريزة الجنسية.. فعاطفة الحب شئ.. والغريزة الجنسية شئ آخر.. حتى لو حدث أن اتفق الاثنان على الاتجاه إلى هدف واحد.. (مع الاعتذار لبعض مدارس علم النفس.. التى تُعزى كل شئ إلى " سلطان ").

وإلا فما قولنا عن يوناثان – بعد موقعة داود مع جليات – حيث نقرأ: " **أَنَّ نَفْسَ يُونَاثَانَ تَعَلَّقَتْ بِنَفْسِ دَاوُدَ، وَأَحَبَّهُ يُونَاثَانُ كَنَفْسِهِ** " (١صم١٨: ١).. وفى رثاء داود ليوناثان أنشد: " .... **قَدْ تَضَايَقْتُ عَلَيْكَ يَا أَخِي يُونَاثَانُ. كُنْتَ حُلْواً لِي جِدّاً. مَحَبَّتُكَ لِي أَعْجَبُ مِنْ مَحَبَّةِ النِّسَاءِ** " (٢صم١: ٢٦).. فهل كان الجنس وراء هذه المحبة ؟ .. بالطبع لا.

فإن كانت عاطفة الحب هذه مخلوقة فى البشر – بصفة عامة – إلا أن " عياس " تمكن من تلويثها.. بدرجات متفاوتة... مرة مستغلاً احتياجات " سلطان " .. ومرات لضغوط مادية.. أو نفسية .. أو اجتماعية.. أو خلافه.. وصولاً إلى أدنى الدرجات.. وهى قتل هذه العاطفة نحو الآخرين .. وحصرها فى محبة النفس فقط ، حتى أن الأم أكلت رضيعها .. حبًّا أيضاً.. ولكن لنفسها (٢ مل ٦ : ٢٨ ، ٢٩).

هذا بصفة عامة.. أما المؤمن – بصفة خاصة – فإن موقفه الصحيح من " عياس " – والذى سبق ورأيناه – ينقِّى عاطفة الحب هذه من تأثيرات " عباس " .. وبالإضافة إلى هذا فقد اكتسب المؤمن هبة **إضافية** بعد إيمانه.. وهى إمكانية خاصة تمكنه من الحب حباً **إضافياً** جديداً خالصاً مجرداً من كل مطمع.. يفوق ما فى الروايات والأساطير.. ماذا يقول الرسول يوحنا: " نَحْنُ نُحِبُّهُ (وبتعبير أدق ؛ **نحن نقدر أن نحب**) لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً " (١يو٤: ١٩).

إنها قدرة على المحبة.. **إضافية وجديدة**.. تتضاءل أمامها محبة عروس

النيل للنهر.. أو عشقها للمجد.. إذ قياسها الكامل هو على قياس محبة المسيح لنا.. وهو القائل: " لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ " (يو ١٥ : ١٣).

ويؤكد الرسول يوحنا أنها هبة جديدة، بعد الإيمان، ولم تكن من قبل، عندما يكتب: " نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدِ انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ لأَنَّنَا نُحِبُّ الإِخْوَةَ. " (١يو٣: ١٤).. إنها قدرة جديدة على المحبة.. حتى للأعداء.. لا أثر " لسلطان " فيها.. ولا تأثير " لعباس " .. وتُكتسب بعد الانتقال من الموت إلى الحياة.. بالإيمان بالمسيح.

ماذا فعلت هذه الهبة الجديدة فى " شاول الطرسوسى " الذى كان " قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً " (١ تى ١ : ١٣).. إذ كان يضطهد " كنيسة الله بإفراطٍ " ويتلفلها (غل١: ١٣).. إنه يكتب للكنيسة ؛ كنيسة تسالونيكى بعد إيمانه: " كُنَّا مُتَرَفِّقِينَ فِي وَسَطِكُمْ كَمَا تُرَبِّي الْمُرْضِعَةُ أَوْلاَدَهَا، هَكَذَا إِذْ كُنَّا حَانِّينَ إِلَيْكُمْ كُنَّا نَرْضَى أَنْ نُعْطِيَكُمْ، لاَ إِنْجِيلَ اللهِ فَقَطْ بَلْ أَنْفُسَنَا أَيْضاً، لأَنَّكُمْ صِرْتُمْ **مَحْبُوبِينَ إِلَيْنَا**. " (١ تس ١ : ٨).. كما يكتب لأهل كورنثوس : " وَأَمَّا أَنَا فَبِكُلِّ سُرُورٍ أُنْفِقُ وَأُنْفَقُ لأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ، وَإِنْ كُنْتُ كُلَّمَا **أُحِبُّكُمْ** أَكْثَرَ أُحَبُّ أَقَلَّ! " (٢كو ١٢ : ١٥) .. كما يكتب لأهل رومية : " إِنَّ لِي حُزْناً عَظِيماً وَوَجَعاً فِي قَلْبِي لاَ يَنْقَطِعُ! **فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُوماً مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ** " (رو ٩ : ٢ ، ٣).

إنه حب من نوع خاص **منعدمة** فيه رغبات " سلطان " .. **وموضوع** فيه " عباس " **تحت الأقدام**.. فى إنكار كامل من الرسول لذاته.

إنه الكيان الإنسانى وقد عالجه الرب، بالإيمان به – بعدما أفسدته الخطية ولوثته – وأصبحت القيادة فيه لا للعواطف مسوقة من " عباس " وخاضعة " لسلطان " .. بل للروح القدس الذى يحجّم " عباس " .. ويضبط " سلطان " ..

وينقّى العواطف من كل تأثير لهما.. ويسمو بها.. ويضيف إليهـا هبـة المحبـة الجديدة الخاصة.. فيا للسمو!.

ويكتب الفاضل الدكتور " **عصام عـزت** " : ﴿ن العواطـف (كالمحبـة والأشواق وغيرها) لا تموت بعد الإيمان لأنها جزء من تركيب الله للإنسان، فهى تظل تعمل لكنها تعمل بصورة مختلفة. فليست هى التى تحرك المـؤمن أو تخـدم رغباته القديمة.... وكلما ازدادت روحانية المؤمن كان أكثر حباً ورقة وعطفاً على الآخرين.... مثل سيده الذى كان محباً حتى للعشارين والخطاة (لو٧: ٣٤) ﴾

هذا باختصار شديد عن الحب فى عمومية وجوده لدى البشر بصورته المشوّشة..وفى خصوصية وتميز وجوده لدى المؤمن بصورته النقية.. والمزدوجة .

- فماذا عن الحب بين شاب وفتاة ؟

إن حدث استلطاف بين شاب (غير مرتبط)، وبين فتاة (غير مرتبطة).. ساقهما الرب – ولا أقول الأقدار – للتقابل .. وبدأ ينمو بينهما إعجاب.. وتوطدت العلاقة بينهما باكتشاف كل منهما لشخصية الآخر.. فلا غبار.. طالما كان كل منهما ينوى بإخلاص أن تنتهى هذه العلاقة بالارتباط.

الحب هنا لم يُبن على رغبات " سلطان " بالدرجة الأولى.. فالأخير يريد إشباع رغباته فقط.. وعلى استعداد لافتراس أى غزال أو قرد.. أياً كانت شخصيته أو طباعه.

رغبات " **سلطان** " ، فى حالة الحب الحقيقى لا تأتى فى المرتبة الأولى.

كما أن " **عباس** " هنا لا يكون محرضاً.. ما دام قد سبق لهذا المؤمن أن أمات بالروح أعمال الجسد (رو ٨ : ١٣) .

وإذ يتوقف دور " عباس " هنا – وهو الوسيط بين الدكتور وبين " أم قشعم "– يتوقف أيضاً دور " أم قشعم " .

الحب – فى هذه الحالة – يخرج أسمى ما فى قلب الفتى من نبل .. وإيثار.. وتضحية .. وبذل.. وعطاء رجولى.. ورغبة فى احتواء الطرف الآخر تحت مظلة حمايته.. باذلاً النفس والنفيس من أجلها.. متمثلاً بسيده الذى " أَحَبَّ الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا " (أف ٥ : ٢٥).

كما أنه يخرج أسمى ما فى قلب الفتاة من إخلاص.. ووفاء.. وخفض جناح .. وطاعة.. وضعف أنثوى ، يتمثل فى الرغبة فى الانضواء تحت جناح الطرف الآخر طلباً للمَنَعَة (بالنون) والقوة.. متمثلة بالكنيسة التى تخضع للمسيح (أف ٥ : ٢٢).. وتلوذ به.

فإن كان صاحبنا يستأسد وقت اكتساب معيشته، فمعها يكون حملاً وديعاً مسخراً استئساده لخدمتها.

وإن كانت صاحبتنا تقوى شكيمتها – مثلاً – على مرؤوسيها أحياناً لظروف عملها، فهى معه حمامة وديعة مسالمة.. خالعة كل أقنعة قوتها.

وماذا عن " سلطان " عند كل منهما ؟.. إنه يستكين على الرجاء.. فقريبا – بعد الزواج – **سيخرج إلى الطبيعة التى هى الأصل.. وليس القفص الذى هو الاستثناء.**

صاحبنا لن يرى غزالاً غير " الظَّبْيَةِ الْمَحْبُوبَةِ وَالْوَعْلَةِ الزَّهِيَّةِ " (أم٥: ١٩).. وفى وقته، سيشرب مياهاً من جبه ومياها جارية من بئره (أم٥: ١٥).. ليرويه دفؤها فى كل حين وبمحبتها يسكر دائماً (أم ٥ : ١٩).

وصاحبتنا لن ترى غيره مميزاً بين ربوة.. وتجد صفاته دهنا مهراقا (نش ١ : ٣).. ومرّا ذكى الرائحة (نش ١ : ١٣).. وفى وقته، ستحتضن

صرة المر الثمينة هذه (أى حبيبها) بين ظهرانيها.. محتوية إياه بكل ما يلقاه فى حياته .. من سعة ورغد .. أو من مرار وشقاء.. واجدة فى ذلك ما فى المرّ من طيب أريج، وحسن رائحة.

وإن كان " سلطان " سيخرج من قفصه بعد الزواج.. ويأكل ويشرب.. إلا أن إشباع رغباته لن يأتى أيضاً فى المقام الأول.. بل سيأكل " إِلَى حِينٍ " (١كو٧: ٥).. لكى يتفرغ عريسنا وعروسه لا " لسلطان " ، كما يظن البعض بل – بعد استقطاع وقت العمل وخلافه – للصوم والصلاة والعبادة (١كو٧: ٥).. ثم يعاود " سلطان " أكله المشروع (١كو٧: ٥).. وذلك كى لا يجربهما الشيطان لعدم نزاهتهما (١كو ٧ : ٥)

هذا عن الحب المؤدى إلى الزواج .. أما الحديث عن الزواج نفسه.. فإلى لقاء فى عدد قادم إن أراد الرب.

وفى سؤال لأحد الشباب قال: إن كانت هناك محبة مثالية بين رجلين كداود ويوناثان، هل يمكن أن تتواجد على قياسها محبة مثالية بين شاب وفتاة.. أو رجل وامرأة.. وتستمر هذه المحبة.. طاهرة مضحية.. فى إنكار كامل للذات .. دون زواج.. حيث لا تسمح به الظروف .. لا حاضراً ولا مستقبلاً.. لأسباب صحية.. أو اجتماعية.. أو خلافه ؟

قلت له ناهينا عن مستقبل هذا الحب.. أسألك أنا أيضاً: هل يمكن أن يقوم حب بين الجنسين دون أثر " لسلطان " أو تأثير " لعباس " ؟ .. هذا هو السؤال .. والإجابة عليه ؛ كل أدرى بنفسه.. وهل يمكنه ذلك، أم لا؟ .. إذ لا يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه (١كو ٢ : ١١).

هذا وقد كنت فى زيارة لشاب مصرى فى الخارج أقعده المرض مشلولاً بأطرافه الأربعة.. كلُّ أهله فى مصر.. رأيت معه فتاة من دولة عربية.. تخدمه

إلى حد وضع الطعام بيدها فى فمه .. لعجزه عن تحريك يديه.. ظننتها ممرضة بالأجر.. تتناوب مع غيرها على عيادته.. لكنهم أخبرونى أنها عرفته بعد مرضه.. وأحبته وهو مريض.. حباً مجرداً من كل غرض.. ونذرت نفسها لخدمته على مدار اليوم كله ليلاً ونهاراً.. ما بقى له من عمر .. دون زواج.. أو حتى خطوبة.. وأثناء الصلاة فى ختام الزيارة ، كانت هذه الفتاة ضمن المصلين ؛ صلاة لا تصدر إلا من مؤمنة تقية.

ملكوت واسع.. لا نحده .. ولا نتساءل إلا عما يخصنا فيه.. ألا وهو السهر على حفظ " عباس " فى حالة الموت.. وترويض "سلطان " بالأسلوب الكتابى .. و هزيمة " أم قشعم " بالأسلحة الروحية.. حتى يحفظنا الرب غير عاثرين .. إلى يوم مجيئه (يه ٢٤).

آمين

من أقوالـــــهم

- الجنس جزء من خطة الله للإنسان .. وهو مقدس وجميل.

ديريك برنس

- دوافع الإنسان لارتكاب الخطأ تتساوى مع الخطأ ذاته.

د. كمال يوســـف صادق

أستاذ الكيمياء بكلية العلوم جامعة المنيا

- يحتاج الإنسان إلى كثير من الإرادة حتى يملك شهوة من شـــهوات نفـــسه.. وحتى يردها إلى ما يريد.

د. عبد الرازق الســنهورى

أبو الدستور، وأستاذ القانون

- النظرة الأولى (للمرأة) لك.. والنظرة الثانية عليك.

من التراث الإسلامى.

ملاحـــــق

ملحق١ : رجاء الرجوع للعدد العاشر من هذه السلسلة.. بعنوان: " ميمى بك".

ملحق٢ : رجاء الرجوع للعدد الحادى عشر من هذه السلسلة.. بعنوان: " مجاهد فى الجبانة ".

ملحق٣ : هرَّ هرًّا : أى أصابه إسهال..أما هرَّ الكب هريــراً (مــز ٥٩ : ٦) فمعناه؛ أصدر صوتاً منخفضاً.. وبالعامية يقال: "الكلب يزوم" .. وهو ما يقال أيضاً عن الأسد (إش ٥ : ٢٩)..وما أشبه.

ملحق٤ : " العباس " عند العرب ؛ هو الأسد الذى تهرب منه الأسود.

ملحق٥ : الأثفية هى الحجر الذى يوضع تحت القدر.. وأثفيتان تحــت القــدر تجعلانه ينقلب.. أما ثالثة الأثــافى فهــى الحجــر الثالــث الــلازم لارتكازه.. وبدونه ينقلب.. ويستخدم هذا التعبير إشارة إلى الدعامة الثالثة والمكملة لأى دعامتين.. واللازمة لاستكمال ارتكاز أى شــئ وقيامه.. حتى لا ينقلب أو ينهار.

ملحق٦ : " أم قشعم " عند العرب ؛ كناية عــن الحــرب ، أو المــصيبة ، أو الموت.. ويقال: فلان ذهب " إلى حيث ألقت رَحلَها أم قشعم " ... أى راح فى داهية.

ملحق٧ : أما **الشهوة** فى عبارة ؛ " الجسد يشتهى ضد الروح " (غل ...

فالمقصود بها تحريضات الطبيعة القديمة للعصيان ، وعمل الإرادة الذاتية ، إذ أن الجسد هنا هو هذه الطبيعة ، وليس اللحم والدم

ملحق٨ : هناك لقاءات بريئة بين الجنسين سواء كانت جماعية؛ أى بين مجموعة من الجنسين.. أو ثنائية بين شاب وفتاة.. وذلك لأسباب كثيرة.. بعضها عائلى.. وبعضها يتعلق بالدراسة.. وبعضها بالعمل.. وبعضها بدافع الاستلطاف بين شاب وفتاة، والارتياح الذى ربما يؤدى إلى الاقتران مستقبلاً (كما سيأتى ذكره).. هذه كلها شئ.. واللقاءات بغرض إشباع " سلطان " – بأى طريقة – شئ آخر.
ذلك لأن الأخيرة تتم تنفيذاً لتحريضات " عباس " ؛ أى الجسد.. ونظريات " أم قشعم " ؛ أى إبليس.. وذلك لإشباع " سلطان " إشباعاً – هو بالضرورة – غير مشروع .. ولم يأت وقته بعد.

ملحق٩ : هناك بالطبع استثناءات خاصة من هذه القاعدة ، إذا كان الرجل شيخاً أو مريضاً مثلاً ، فله فى هذه الحالة الأولوية على فتاة صغيرة.. الأولوية دائماً للأضعف.

ملحق١٠: اتخاذ القرار الذى يصادق على أى شهوة (غريزة) أخرى ، هو الخطية.. فاتخاذ قرار **السرقة** إشباعاً لشهوة الأكل.. أو اتخاذ العاقر قراراً **بخطف طفل** إشباعاً لغريزة الأمومة.. وهلم جرا .. هو الخطية التى تولد مع **اتخاذ القرار** .. قبل أن تتم السرقة.. ودون أن يحدث الخطف.

ملحق١١: ملث شفتيها : تملق شفتيها.

ملحق١٢: رجاء الرجوع لموضوع " حد الموت " ، فى العدد الخامس عشر .. بعنوان: "محطة الأتوبيس" .

ملحق١٣: الأصل ليس حبس "سلطان " .. بل إطلاقه إلى أحضان الطبيعة.. فهو لم يخلق ليحبس..وما حبسه إلا إجراء مؤقت.. يتم لضرورات اجتماعية.. أو اقتصادية.. أو خلافه.. يُطلق بعدها.. وحتى في وقت حبسه، فباتباع الأسلوب الصحيح - الذى سيأتى ذكره - للتعامل معه ، لن يكون هناك تحرُّق (١كو ٧ : ٩) ؛ أى معاناة من حبسه.

أما الاستثناء ، فهو حبسه نهائياً.. وربما كان ذلك لأسباب طبية كإعاقة الشخص جسمانياً، مع كون " سلطان " عنده طبيعياً.. أو لأسباب يرى أصحابها أنها أسباب روحية ؛ كدخول الدير والرهبنة ، مع كون " سلطان " عندهم أيضاً طبيعياً.. أو لأسباب أخرى.. إلا أنه باتباع الأسلوب الآتى ذكره للتعامل مع "سلطان " ، لن تكون لديهم معاناة أو تحرُّق.

إلا أنه فى حالات خاصة ؛ هى امتلاك موهبة - كما أشار الرسول - لا يكون " لسلطان " عند أصحابها صوت أو زئير.. ويكون لهم فى كيانهم قوة طبيعية أكبر من قوة " سلطان " .. لكن ليس الجميع هكذا.. " لَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ لَهُ مَوْهِبَتُهُ الْخَاصَّةُ مِنَ اللهِ " (١كو ٧ : ٧).

ملحق١٤: رجاء الرجوع للعدد الثامن من هذه السلسلة بعنوان : " كاهن عظيم ".

ملحق١٥: رجاء الرجوع لموضوع أربع معارك.. فى العدد الخامس من هذه السلسلة .. بعنوان : " أرى الدم " .

ملحق١٦: مع تحفظنا على القول أن هناك بلايا مخلوقة خصيصاً لشقائنا.. وأن الغريزة الجنسية هى أحد هذه البلايا.. وأنها عدوة لنا.

ملحق١٧: ليس بالضرورة أن تكون الهزيمة هى إكمال الخطية فعلاً.. بل مجرد ميلادها – فكراً – يعتبر هزيمة.. كما سبقت الإشارة.

ملحق١٨: " **حائط السياج المتوسط** ": يُظن أنه كان مبنياً فى الهيكل، وأنه كان يفصل بين الدار التى كانت لإسرائيل، والدار التى كانت للأمم الدخلاء.. ويُقال أنه كان منقوشاً عليه هذه الكلمات : " ليحذر الأممى من تجاوز هذا الحائط لئلا يعرض نفسه للموت " .. فيما يُنبى عن حائط معنوى أكبر أقامه اليهود بينهم وبين الأمم.. لافتخار الأولين بالناموس ؛ ناموس الوصايا فى فرائض " (أف ٢ : ١٥) .. وعداوتهم للأمم الذين لم يعط لهم الناموس.

ملحق١٩: كما سيأتى ذكره بمشيئة الرب فى عدد قادم.. بعنوان ؛ " الورقة الأخيرة ".

ملحق٢٠: للرقم خمسة معان أخرى.. فهو رقم المسئولية (راجع العدد الخامس).. والبعض يراه أيضاً رقم النعمة.

ملحق٢١: فى موقعة أريحا: ".... كَانَ حِينَ سَمِعَ الشَّعْبُ صَوْتَ الْبُوقِ أَنَّ الشَّعْبَ هَتَفَ هُتَافاً عَظِيماً، فَسَقَطَ السُّورُ فِي مَكَانِهِ.... وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ (يش ٦ : ٢٠) .. وهنا نراهم ظاهرياً يهتفون .. لكنهم فى الحقيقة كانوا قد اجتازوا من قبل فى مواقف لها معناها الروحى.. فقد سبق لهم أن نزلوا إلى قاع الأردن، وخرجوا منه (يش٣: ١٧).. فيما يشير

إلى الموت عملياً مع المسيح والقيامة معه.. وبعدها مرُّوا على الجلجال، حيث اختتن بنو إسرائيل ثانية (يش ٥ : ٢ ، ٣) .. أى اختتن جميع الذين وُلدوا فى القفر (يش ٥ : ٤) .. فيما يشير إلى إدانة الذات وإماتة أعمال الجسد.. من ثم عندما يأتى الهتاف بعد ذلك، فإنه يكون فى تمام وقته الصحيح .. أما الهتاف دون ذلك ، فهو رفع فارغ للعقيرة.. قد ترتج له الأرض .. إلا أنه هتاف أجوف.. ومظهر شكلى خال من أى مضمون، إلا انخداع صاحبه في نفسه.. أو خداع الآخرين.. هكذا المؤمن، بعد أن يختبر الموت عملياً مع المسيح – كما سنرى فى حادثة صموئيل والماء المسكوب – وبعد أن يختبر قوة روح الحياة ؛ روح القيامة..أى بعد أن يميت بالروح أعمال الجسد، كنتيجة لهذا كله.. **وقتئذ– وبعد هذا كله– يحق له الهتاف.**

ملحق٢٢: كان التابوت (خر ٢٥ : ١٠ – ٢٢) على هيئة صندوق خشبى .. مغشى من داخل ومن خارج بالذهب .. وكان له غطاء ذهبى ذو مواصفات معينة .. وما يخصنا فى هذا الصدد هو كيفية صناعة التابوت ليكون الغطاء محكماً فوقه.. لقد كان هناك إكليل من ذهب حوالى التابوت من أعلى .. حتى أنه بعد وضع الغطاء يبدو الاثنان كأنهما قطعة واحدة.. فكان يختفى عن الأنظار – لا ما فى داخل التابوت فقط – بل حتى مكان اتصال الغطاء بالتابوت .. ما المعنى ؟ .. إن لوحىّ الشريعة – داخل التابوت – لو كانا مكشوفين بأى درجة ولو من مكان اتصال الغطاء بالتابوت، كانا سيشهدان ضد الشعب إن هم كسروا الوصايا المكتوبة عليهما .. أما وقد كسروها فعلاً .. فكان الغطاء **يحكم الإغلاق** .. حتى يوقف شهادتهما.. وكان

الدم يرش عليه .. مما يسكت مطاليب الناموس تماماً.. فلا يموتـــوا. لذلك فإن أهل بيتشمس بنظرهم إلى التابوت، كانوا كأنهم يخترقـــون هذه الاستحكامات.. وصولاً إلى ما فى داخله من وصايا .. هى التى جلبت عليهم هذا القضاء.

ملحق٢٣: للصوم دور مهم وفعَّال فى الحياة الروحية عموماً..فالرســل كـــانوا " يخدمون الرب ويصومون " (أع ١٣ : ٢).. كما أنه يضفى قـــوة مضاعفة إلى الصلاة.. حتى أن " هذا الجنس (أى جنس الشياطين) لا يخرج إلا بالصلاة والصوم " (مت١٧: ٢١)..وهلم جرا.

ملحق٢٤: الدهن الطيب فى العهد القديم (خر ٣٠ : ٢٢ – ٣٣) كان يتكـــون من أربعة أطياب هى: مرٌّ قاطر .. وقرفة عطرة.. وقصب الذريرة.. وسليخة.. وكل منها تشير – من زاوية معينة – إلى كمالات الـــرب يسوع فى حياته.. وآلامه .. وصلبه.. إذ : " كُلُّ ثِيَابِكَ مُـــرٌّ وَعُـــودٌ وَسَلِيخَةٌ " (مز ٤٥ : ٨) .. وكانت هذه الأطياب الجافة تُمـــزج .. وتُخلط بزيت الزيتون – رمزاً للروح القدس – فتصير دهنـــاً طيبـــاً للمسحة.. سائلاً مهراقاً.. يمسح به هرون، وبنوه .. بأن يصب على رأسهم ساعة مسحهم فينساب إلى أطراف الثياب.. وكان محرَّماً على الإسرائيلى أن يصنع مثله .. أو يركِّب على مقـــاديره .. أو يُـــسكب على جسده .. إنه فقط لهرون وبنيه .. رمز المسيح والمؤمنين بـــه.. فيما يشير إلى أن روائح الصليب المباركة تنتشر بـــالروح القـــدس– كأطياب عطرة– داخل هذه الدائرة فقط؛ حيث "يَسْكُنَ الإِخْوَةُ مَعاً!.... لأَنَّهُ هُنَاكَ أَمَرَ الرَّبُّ بِالْبَرَكَةِ حَيَاةٍ إِلَى الأَبَدِ " (مز ١٣٣ : ٣).

المـــراجـــع

- تراجم متعددة للكتاب المقدس.
- قواميس متعددة للكتاب المقدس.
- مراجع روحية:

تفاسير كنيسة الإخوة، وكنائس أخرى، للشواهد الكتابية الواردة فى هـذا العدد.

- مراجع أخرى:

- السنهورى من خلال أوراقه الشخصية	أ.د. توفيق محمد الشاوى
- فى صالون العقاد كانت لنا أيام	أ. أنيس منصور
- البُردة	الإمام محمد بن سعيد البوصيرى المصرى، ضبط وتعليق الشيخ إبراهيم الباجورى شيخ الأزهر

- مقالات:

- الخل الوفى	المستشار د. على فاضل حسن
- أخبار ثقافية	مريم البنا
- هوامش على دفتر النكسة (قصيدة)	نزار قباني

فى هذا العدد:

- الفرق بين الطبيعة القديمة والغريزة الجنسية.
- الانتصار على الطبيعة القديمة.
- التعامل الصحيح مع الغريزة الجنسية.
- الحب.

العدد القادم بمشيئة الرب:

- لا تهتموا بشئ.

تحت الطبع:

- الورقة الأخيرة.
- وأعداد أخرى.

سلسلة ملء الجباب

تطلب هذه السلسلة من

كنيسة الإخوة

٧ شارع الدرى - ميدان الجيزة

ومن المكتبات المسيحية